فئات المجتمع الشامي

أ.د.فراس سليم حياوي

جامعة بابل

مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية

الباحث ميثاق عبيس حسين

جامعة بابل

مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية

البريد الإلكتروني Email: ferars_net67@yahoo.com

الكلمات المفتاحية: دراسات انسانية ، تاريخ ، دمشق ، مجتمع ، شام.

كيفية اقتباس البحث

حياوي،فراس سليم،ميثاق عبيس حسين، فئات المجتمع الشامي مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية،٢٠١٩، المجلد:٩ ،العدد:٢ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Categories of society Shami

Prof. Dr. Firas Salim Hayawi
University of Babylon
Babylon Center for cultural and Historical Studies

Mathaq Obyss Hussein
University of Babylon
Babylon Center for cultural and Historical Studies

Keywords: Human Studies, History, Damascus, Society, Cham.

How To Cite This Article
Hayawi,Firas Salim, Mathaq Obyss Hussein, Categories of Society Shami,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, Year :2019,Volume:9,Issue: 2.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Summary
Praise be to Allah who created man, and made him the best types of creation in the universes, and prayers and peace be upon our Prophet Muhammad (Peace Be Upon Him and His Family) who gave the mosques of the word, and resurrected to beautify the virtues of ethics and divinity.
After the research discusses the groups of Damascus society in the fifth and sixth centuries AH, as the city of Damascus, the rule of governance, Guy, the Levant and the axis of trade exchanges and therefore we find in the city communities and not a single community each of its customs and traditions, and all of this we tried to find categories of this community, National or religious, the research was based on other research on a variety of sources and references, the information of which has not been provided

الملخص

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وجعله أفضل أنواع من أوجده في الأكوان، والصلاة والسلام على نبينا محمد (ﷺ) الذي أوتي جوامع الكلم، وبعث لتتميم محاسن الأخلاق والشيم، وعلى آله مصابيح النور، ومفاتيح أبواب السعادة والكرم.

وبعد فان البحث يتحدث عن فئات المجتمع الشامي في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وحاولنا ان يكون التركيز حول دمشق، اذ كانت مدينة دمشق قاعدة الحكم غي بلاد الشام ومحور التبادلات التجارية ولهذا نجد في المدينة مجتمعات وليس مجتمع واحد لكل منه عاداته وتقاليده ومن هذا كله حاولنا ايجاد فئات لهذا المجتمع تجمع كل المجتمعات سوى القومية او الدينية، اعتمد البحث لغيره من البحوث على مجموعة من المصادر والمراجع انتفت المعلومة منها.

فئة الحكام :

نقصد بهذه الفئة: السلاطين، وأمراء الأنظمة السياسية، ومن يحسب بطبقتهم من عوائلهم ونوّابهم ووزرائهم وذوي الجاه والولاة والملتحقين بخدمة الحكام، وقد اختلفت آثار هذه الفئة باختلاف توجهاتها؛ من حيث اهتمامها بالمصالح العامة للمجتمع، وإهمالها هذا الجانب لأسباب داخلية أو خارجية أو ذاتية، نستعرضها بالصور التالية: فقد كانت دمشق تابعة للحكم الفاطمي في مصر للمدة (٣٥٩-٤٦٨هـ/ ٩٦٩- ١٠٧٥م)؛ حيث أقيمت- خلالها- الخطبة للخليفة الفاطمي، وقطعت عن الخلفاء العباسيين[١]، ولكن نفوذ الفاطميين انكمش في دمشق سنة (٤٦٨هـ/١٠٧٥م)، حين استطاع أتسز[٢] التركماني، السيطرة عليها، وأنهى- بذلك- حكم الفاطميين على يد التركمان[٣] الذين حكموا دمشق للفترة (٤٦٨-٤٧١هـ/ ١٠٧٥-١٠٧٨م).

وفي ظل الحكم السلجوقي الذي امتد بين (٤٧١-٥٤١هـ/١٠٧٨-١١٤٦م) برز دور الحكام السلاجقة كقوة ضاربة في البلاد؛ إذ استطاعت من بسط سيطرتها على مناطق بلاد الشام، ومنها دمشق، فضلاً عن انكماش القوى العربية[٤] أمامها، وقد ظهر دورهم- بوضوح- عند تعرض البلاد للهجمة الصليبية؛ إذ ظهرت قوتهم وشجاعتهم، ولهذا؛ استخدم الحكام الألقاب العربية التي تدل على الهيبة والفخر[٥].

استطاع الزنكيون بقيادة نور الدين السيطرة على دمشق سنة (٥٤١هـ/ ١١٤٦م)، وبذلك؛ أنهى حكم السلاجقة، وخلال مدة حكمه استطاع من إعادة الطمأنينة إلى المسلمين[٦] بعد تفاقم الخطر الإفرنجي، وتهديدهم لحدود الدولة الإسلامية، فقد استطاع نور الدين زنكي من تحرير الأراضي

العربية، ابتداءً من دمشق، وقد اتبع سياسية المسالمة مع أصحابها، وأخذ يدعم الوحدة أمام الإفرنج، حتى وفاته سنة ٥٦٩/١١٧٣، وهذا ما جعله يجند قوى المنطقة من عرب وسلاجقة وأكراد وأتراك[٧] وغيرهم.

وبناء على هذه الظروف الصعبة، عاشت فئة الحكام في عهد نور الدين حالة من التقشف والزهد، وذلك لظروف البلد في مواجهة التهديدات الخارجية، فقد استطاعت من تحقيق التكافل الاجتماعي للتخفيف من معاناة الناس عن طريق الصدقات والإحسان، فقد ذكر ابن واصل أنه (ما تصدق به على الفقراء في شهر زاد عن ثلاثين ألف دينار)[٨]، كما أعلن أمام القوم عن إسقاطه رسوم دار البطيخ[٩] وسوق النقل وضمان الأنهار، وكتب بذلك، وقرأ على المنبر بعد صلاة الجمعة، فاستبشر الناس بصلاح الحال، وإعلان الناس برفع الدعاء إلى الله تعالى بدوام أيامه[١٠]، وزعم أن إسقاطه المكوس والضرائب كان تقرباً إلى الله تعالى[١١].

لقد زخر تاريخ نور الدين بأعماله الخيرية الكثيرة في كافة المجالات الاجتماعية، فقد روى ابن واصل بأنه : (تقدم بإحصاء عن محال دمشق من المساجد الخراب، فأناف عن مائة مسجد، فأمر بعمارة ذلك كله، وعين له وقوفاً)[١٢]، وبنى بدمشق- أيضاً- دار الحديث، وأوقف عليه الكثير من الأوقاف، والتي وصفها ابن واصل بقوله : (أول دار للحديث سمعنا عنه)[١٣].

كما اهتم ببناء أسوار بلاده وقلاعها، ومنها دمشق التي أحكم بناءها، وأخرج الأموال الكثيرة من مصالحها، ولم يكن يحاسب قضاته على شيء من الوقوف، ويقول (أنا قلدته أن يتصرف فيها كما يجب، ثم ما فضل من مصاريفها وشروط واقفيها يصرف على بناء الأسوار وخطط الثغور)[١٤].

ومن منافذ التكامل الاجتماعي الأخرى-في نظر نور الدين- الاهتمام بالعلم ومؤسساته ودور الصوفية، فقد بنى في دمشق المدرسة النورية، والتي تعرف بالمدرسة النورية الصغيرة[١٥]، والتي وصفها ابن جبير، بقوله : (ومن أحسن مدارس الدنيا، منظر مدرسة نور الدين رحمه الله، وبها قبره، وهي قصر من القصور الأنيقة، ينصب فيها الماء من شاذروان، وسط نهر عظيم، ثم يمتد الماء في ساقيه مستطيلة، إلى أن يقع في صهريج كبير وسط الدار...)[١٦].

كما بنى بالمدينة المستشفى النوري، المعروفة في غاية الحسن والجمال، ووقف عليه الوقوف الجليلة[١٧].

وبنى- أيضاً- الربط والخوانق للصوفية في جميع البلاد، وأدر عليها الإيرادات الكثيرة، وكان يحضر مشايخ الصوفية، ويقربهم، ويدنيهم، ويتواضع لهم، وبنى- أيضاً- الخانات على الطرق، فحقق أمن الناس وأموالهم واستقرارهم في أيام الشتاء من البرد والمطر[١٨]، بالإضافة إلى بنائه

الأبراج على الطرق، بين المسلمين والإفرنج، للدفاع والحماية، وجعل بها من يحفظها من المقاتلة ومعهم الطيور الهوادي، فإذا رأوا من العدو أحداً أرسلوا الطيور استعداداً وحذراً واحتياطاً لأنفسهم، ولم يبلغ العدو منهم غرضاً[١٩].

وينسب إليه أنه بنى مكاتب الأيتام، وأجرى عليها وعلى معلميها العطايات الوافرة[٢٠]، روى أنه بنى أول دار كشف، وسماه دار العدل، وكان السبب[٢١] في بنائها تجاوز أسد الدين شيركوه على حقوق الناس، فقد ذكر ابن واصل جواب أسد الدين لما علم ببناء الدار بما فيه : (اعلموا أن نور الدين ما أمر ببناء هذه الدار إلا بسببي وحدي...)[٢٢]، وقد لقيت هذه الدار دعماً من لدن نور الدين فيما ذكر (أنه كان يلعب الكرة، فرأى إنساناً يحدث آخر، ويشير بيده، فأرسل إليه، وسأله عن حاله، فقال : (لي مع الملك العادل حكومة، هذا غلام القاضي ليحضره إلى مجلس الحكم يحاكمني على الملك الفلاني)[٢٣]، فعاد الرسول إليه، ولم يتجاسر أن يعرفه بمقالة الرجل، وكتمه الأمر، ولكن نور الدين لم يقبل منه إلا الحق، فألقى الكرة من يده، وترك الميدان متوجهاً إلى القاضي كمال الدين الشهرزوري، فقال له : (إني جئت متحاكماً، فاسلك معي مثل ما تسلكه مع غيري، فلما حضر ساواه بخصمه، وحاكمه، فلم يثبت عليه حق، وثبّت الملك لنور الدين، فقال حينئذ للقاضي ولمن معه : هل ثبتت له عندي حق؟ فقالوا : لا، فقال : اشهدوا أني قد وهبته هذا الملك الذي حاكمني عليه، وحوله دوني، وقد كنت أعلم أنه لا حق له عندي، وإنما أحضرت معه لئلاّ يظن أني ظلمته، فحين ظهر أن الحق لي وهبته له)[٢٤]، فإذا كان نور الدين يحترم هذه الدار بهذه الدرجة، فكيف- إذن- بباقي أفراد الفئة الحاكمة أو المجتمع بأسره، وذكر أنه دخل يوماً إلى خزانة بيت المال، فوجد مالاً لا يستحقه البيت، فسأل عنه، فقيل : إنه مرسل من المقاضي كمال الدين، فأمر بإرجاعه، لكن القاضي أعاده إلى مكانه، وطلب من مسؤول البيت أن يخبره، فلما وجد المال أنكر جواب القاضي كمال الدين، فرده، وقال لرسوله : (قل لكمال الدين أنت تقدر على حمل هذا، أما أنا؛ فرقبتي رقيقة لا أطيق حمله، والمخاصمة عليه بين يدي الله، يعاد قولاً واحداً، فأعاده)[٢٥]، ولهذا؛ نجد أبا شامة، يلخص أعماله بقوله : (وألقى الإسلام جرانه بدمشق، وثبت أوتاده، وأيقن الكفار بالبوار، ووهنوا، واستكانوا)[٢٦]، وبالمقابل؛ نجد الخليفة العباسي يقلده إمارة الشام ومصر[٢٧].

وفي دولة الأيوبيين التي ابتدأها صلاح الدين، والتي حكمت للمدة (٥٧٠-٦٥٨هـ / ١١٧٤-١٢٦٧م)، تخللتها حروبهم مع الصليبيين، وقد استمر صلاح الدين بمنهجه في مواجهة الصليبيين، فقد أكمل أعمال نور الدين من ناحية، وإضافة إليها بهذا المعنى من ناحية أخرى[٢٨]، فضلاً عن اهتمامه بالإصلاح الاجتماعي والعمراني والثقافي والديني والحرص على

Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2019 Volume: 9 Issue : 2
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

مال المسلمين، فقد عرف بتقواه، وحبه للفقراء وأهل المعرفة، والبناء والعمارة، فمن اهتمامه أنه أنشأ في دمشق مدارس لتدريس العلوم على المذهب المالكي، كالمدرسة الصلاّحية[٢٩] التي أنشأها بالقرب من المستشفى النوري[٣٠].

ومن وسائله في الاهتمام بالدين الإسلامي والمسلمين، أنه بنى العديد من المساجد والخوانق[٣١]، والخانات لإيواء المسافرين، فقد أمر سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، بتحويل الكثير من السجون إلى مساجد[٣٢]، كما أمر بتجديد مسجدين أحدهما يعرف بسوقية باب الصغير، والآخر بالباب الشرقي من دمشق يعرف بمسجد النخلة[٣٣].

كما بنى الخانقاه الناصرية نسبة إليه في دمشق، وموقعها خلف قيسارية الصرف، وكانت داره عندما كان والياً على دمشق[٣٤]، ويبدو أن اهتمامه ببناء دور الصوفية قد انتقل إلى أخته ست الشام التي أنشأت الخانقاه الحسامية[٣٥]، ولم يقف الأمر عند إنشاء المساجد ودور العلم للصوفية فحسب، بل حظي العلماء والفقهاء والصوفية بالمكانة اللاّئقة، وأغدق عليهم كرمه وإحسانه، وكان إذا سمع بأحدهم زاره في داره، ليستزد من علمه.

أما المواصلات؛ فكانت هي الأخرى من اهتماماته؛ إذ عمد إلى إنشاء الخانات بوصفها أماكن راحة للمسافرين، فقد أنشأ خاناً في الطريق الواصل بين دمشق وحمص، وصفه لنا ابن جبير بقوله : (وهو خان بناه صلاح الدين صاحب الشام، وهو في نهاية الوثاقة والحسن، بباب الحديد على سبيلهم في بناء خانات هذه الطرق كلها، واحتفالهم في تشييدها، وفي هذا الخان ماء جار يتسرب إلى سقاية وسط الخان، كأنها صهريج...)[٣٦]، وعموماً؛ فإن هذه الخانات هي لحماية المسافرين من جهة، ولتوفير الراحة والاطمئنان من ناحية أخرى، كما عيّن للغرباء زاوية بالمسجد الجامع، وعيّن لهم أوقافاً كثيرة[٣٧]، وهي استمرار لأعمال نور الدين من قبله، وبذلك يكون قد نهج منهجه في أعمال البر والتقوى.

ولهذا؛ استحق تقليد الخليفة بولايته على مصر والشام خلفاً شرعياً لنور الدين[٣٨].

ولكن الحال اختلفت بعد صلاح الدين؛ حيث تركز اهتمامه خلفائه بالترف والبذخ، وهذا ما لاحظناه واضحاً في بذخ الأمراء والسلاطين، وإنفاقهم المال على شؤونهم الخاصة؛ إذ منح الملك العادل سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م، لطبيبه مهذّب الدين[٣٩]، الذي تولى علاجه سبعة آلاف دينار مصرية، ولسائر ملوك الشرق وغيرهم الذهب والخلع[٤٠]، وفي هذا السباق من البذخ والإسراف جهّز الملك العادل لابنته التي زوجها إلى الملك الظاهر صاحب حلب جهازاً كان من جملته (ثمانون هاون ذهب برسم المطبخ، ومائة هجين قماش؛ ملبوس وغيره، وثلاثمائة حمل جمل فرش وطرح...)[٤١]، وتكررت هذه الاحتفالات، والتي تصرف فيها الأموال الكثيرة للفخر

والتباهي، ففي ختان الملك الصالح ابنه (ختن معه أربعمائة غلام من أولاد كبار الدولة... وعملت وليمة، ما شاهد الناس مثلها)[٤٢]، ومما يشير الاستغراب ما ذكر ابن شاكر الكتبي من أن الملك الناصر (كان يذبح في مطبخه كل يوم أربعمائة رأس من الغنم، غير الدجاج والوز وفراخ الحمام والخراف الرضّع والأجدية، فإنها لا تحصى، وكان يُنزل فضلات السماط (ببيعها) الفرّاشون والطبّاخون وأرباب النّوالات على باب القلعة بدمشق، بأبخس الأثمان، فكانت تعم أهل دمشق يستغنون بها عن المطبخ في بيوتهم)[٤٣]، وإن كنّا نستبعد استمرار هذه الحال، فهي دلالة على إمعان الناصر في بذخه وانصرافه عن شؤون الناس.

ظهر المماليك، وهم ينتمون إلى أصول مختلفة[٤٤]؛ إذ كانوا يشترون بأعداد كبيرة، ويسلمون إلى الطّواش المشرف على طبقة أجناسهم، ليؤهلهم لخدمة الأمراء والسّلاطين[٤٥]، لقد اهتم السلاطين بأمور الناس، ومنهم السلطان بيبرس الذي طال مقامه في دمشق، وتبين أثره في عدد الأعمال التي قام بها في المدينة، فقد حصنها، وجدد أبراج القلعة، بعد أن تعرضت للهدم من قبل التّتر، وأنفق لأجل ذلك ألف ألف درهم، كما بنى لأبنه السلطان السعيد داراً بين الجسر وباب الحديد.

اهتم الظاهر بيبرس بما يهم الحياة العامة في دمشق؛ إذ بنى فوق برج الزاوية المطل على الميادين وسوق الخيل طارمة كبيرة، وبنى- أيضاً- عدداً من الحمامات عند باب القلعة الشرقي وخارج باب النّصر، وساق إليها الماء من باب النصر، كما بنى الجسر الخشبي الموصل بين الميدان وسوق الخيل، الذي عمّر بعض جوانبه، وأخيراً؛ بنى دور يرسم البريدية، وأجرى إليهم الماء، ليرفع عنهم عناء النزول لطلب الماء في مزاحمة الناس، وتوّج أعماله بقصر جميل عُرف بالأبلق[٤٦]، والذي اتخذه مقرّاً له عند استقراره في دمشق حتى وفاته سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م[٤٧].

وأخيراً؛ فإن نيابة السلطة وهي أعلى الوظائف في الدولة، ويعدها ابن فضل الله العمري سلطاناً مختصراً، وذلك لكونه يتمتع بأكثر صلاحيات السلطان في النطاق (الإقليمي الذي كلفهم به، وهذا يعني أنهم يشرفون على الجيش في الإقليم والشؤون المالية وشؤون البريد، ولكنهم في بعض المناصب مثل الوزارة والقضاء وكتابة السر وأمراء الجيش، لم يكونوا يملكون غير حق الاقتراح، وفيما عدا ذلك، فإن موظفي الإقليم كانوا يتبعون نائب الإقليم مباشرة، ويبدو أن نائب دمشق يسمى ملك الأمراء، وذلك كون دمشق قاعدة الملك في الشام[٤٨].

وممن يلتحق بخدمة هذه الفئة في قصورهم :

- **الحُماة والأعوان :**

الحماة؛ وهم مجموعة الرجال الذين يقيمون بدور الحماية للسلاطين والأمراء[٤٩]، وهم ليسوا من أفراد الجيش النظامي، ولا يستخدمون للأغراض الأخرى، إلا عند الحاجة، وتنفق عليهم- عادة-

الأموال الكثيرة، أما الأعوان؛ فهم خاصّة السلطان أو الأمير أو رفاقه، يصاحبونه، ويجالسونه في المنزل، ويتقاضون رواتب خاصة، وهم المستشارون الذين يستشيرهم الحكام في أحوال الحياة، وقد يكونون من مشايخ القوم أو أقرباء[٥٠] الحكام وعصبيته، وربما شكلوا مجلساً للشورى والمناقشة وتبادل الأفكار، لمساعدة الحكام في شؤون حكمهم، ومن أعوان السلاطين الخاصكية والجمدار[٥١] وأمير جاندر[٥٢]، والسلطان الداودار[٥٣].

-الجواري[٥٤] :

اهتم الأمراء والحكام بشراء الجواري، كما يشترون الحلي والجواهر، وربما يرجع ذلك لأسباب خاصة[٥٥]، حتى ضم المجتمع طائفة كبيرة منهن[٥٦]، ومن الطبيعي أن يكن من ربات الحسن ونافذات الكلمة، لأن الجمال قوة، والحب سلاح، فقد لعبن دوراً في قصور الأمراء والسلاطين، خاصة وأغلهن على درجة من الكفاءة[٥٧] في أمور الحياة، حتى إن الملك العادل اختار جارية من جواريه لتصبح أماً لابنه، لحسن إتقانها فن الطبخ، وإعجابه بطعام قد تناوله بمناسبة، فكان طريقة في التعرف عليها وزواجه منها[٥٨]، وكذلك زواج الملك الصالح أيوب من شجرة الدر[٥٩] لكفاءتها ومقدرتها السياسية، والتي أثبتت تلك الكفاءة فيما بعد، وعلى أية حال؛ اختلفت معاملة السلاطين للجواري، حسب الأهداف والمواصفات، فمنهم من ينتفع منها مالياً في مجال الغناء[٦٠] والموسيقى، أو للحصول على منصب أو جاه، أو يستخدموهن للجاسوسية، وهذا ما فعله الملك العظيم، فعندما قرر فريدريك الثاني غزو الشام أرسل من يأتيه بالأخبار، ومن هؤلاء فارس كان على علاقة بامرأة جميلة، فاستطاع الملك العظيم استدراجها بهدايا من الثياب، الحرير، والعنبر، وأشياء كثيرة، وأعلمها عن رغبته في الحصول على المعلومات التي تخص الإفرنج، فوافقت، ولما التقى الفارس بها، ووجد عندها الهدايا سألها، فأخبرته، فذعر أول الأمر، ولكنها ما زالت تلاطفه، وتتودد إليه، حتى اتفقا على مساعدة الملك المعظم، فكان إذا أتاه خطاب بعد ذلك من الإمبراطور، حمله لهذه المرأة التي بدورها تنقله إلى الملك المعظم[٦١].

- العبيد :

ازداد عدد العبيد[٦٢] في دور الملوك والأمراء في بلاد الشام، بازدياد مصادرهم من الغنائم والشراء وغيرها، حتى شكلوا طبقات وفرقاً[٦٣]، تعرف بأسماء خاصة، فمنهم التركي والرومي والأرمني والسندي ... الخ.

لقد تعددت مهام هؤلاء العبيد في خدمتهم لأسيادهم، فمنهم من كان في القسم الخاص بالحريم، وهم- في الغالب- من الخصيان[٦٤]، ومن هؤلاء من تدرج في مسؤولياته حتى بلغ أعلاها، فقد كان مؤتمن الدولة الفاطمية عبداً خصياً[٦٥]، وكذلك قرقوش الطوّاشي[٦٦]، وزير صلاح الدين،

بينما كانت فئة منهم تحسن الأعمال المنزلية بعد أن يتعلموا الصنائع اللازمة لتدبير المنزل، ففيهم الفرّاش والطباخ والخازن والوكيل والنقيب والبواب والملاّح والركّابي وغيرهم[٦٧]، وإذا ازدادوا عن الحاجة في الخدمة أو الحراسة أو الحماية، اتخذ الغلمان منهم زبدة لمجالسهم[٦٨].

اختلفت مصادر أصولهم؛ فمنهم التركي والفارسي والبربري والزنجي والصقلي من الذكور والإناث[٦٩]، وكانت الحروب الصليبية من عوامل زيادة العبيد والأرقّاء في بلاد الشام.

فئة رجال الدين :

وهم في الإسلام قُوّام المساجد والوعّاظ والقضاة والقرّاء والفقهاء والخطباء والشهود وغيرهم، وكان البعض يسميهم أهل العمامة[٧٠]، تمييزاً من غيرهم من الطوائف الأخرى، ولاسيما أرباب السيوف[٧١]، وليس لهذه الفئة مظهر كهنوتي؛ ذلك لأنه في الإسلام لم تنشأ طبقة رجال الدين، كما في الأديان الأخرى[٧٢]، وإنما ظهرت هذه الطبقة نتيجة حاجة المسلمين إلى القيام بواجبات دينهم، وقد جعل الحكام من بعضهم سلطة كبيرة لغايات سياسية.

كان للمعممين دور بارز في الحياة اليومية، وذلك من خلال أثرهم الروحي والثقافي، وهم ينتظمون– في الغالب– بمذهب الدولة الديني، ولكن هذا لا يمنعهم من الوقوف بوجه السلطان إذا ما رأوا حالات يغلب عليها الباطل والمنكر، فقد عرف عن سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام[٧٣]، أنه ترك الدعاء على المنبر لسلطان دمشق الملك الصالح إسماعيل (٦٢٧–٦٤٠)، بسبب تحالفه مع الصليبيين واستعانته بهم ليساعدوه على ابن أخيه الملك الصالح أيوب صاحب مصر، وسماحه لهم بدخول دمشق لمبادلة السلاح فيها، فضلاً عن اتفاقه معهم على تسليم صيدا وحصن أرنون وغيرها من ثغور الساحل، وذلك سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م[٧٤]، وكرد فعل على ذلك؛ عزله الملك الصالح إسماعيل في الجامع الأموي، وسجنه في قلعة دمشق، وضيق عليه، ولكن جماعة من العلماء عز عليهم ما انتهى إليه مصير كبير العلماء عبد العزيز بن عبد السلام، فشفعوا له، فاستجاب الملك الصالح لهذا، وأفرج عنه خوفاً من نقمة الناس عليه[٧٥].

أما في عصر المماليك؛ فكانوا على درجة كبيرة من الشجاعة؛ إذ صانوا مكانتهم وقلمهم من الفساد، وحافظوا على كرامتهم وضمائرهم، فقد روي أنه لما خرج الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨هـ/٦٧٦هـ)، إلى قتال المغول، حينما احتلوا الشام، أعانه رجال الدين بالفتوى التي تجوز له أخذ المال من الرعية، لينتصر به في قتال العدو، فكتب له فقهاء الشام بما أراد، باستثناء محيي الدين النووي[٧٦]، الذي رفض هذا الأمر، فأرسل بطلبه، فقال له : اكتب خطك مع الفقهاء، فرفض قائلاً : (أنا أعرف أنك كنت بالرق للأمير بندقدار، وليس لك مال، ثم منّ الله عليك، وجعلك ملكاً، سمعت عندك ألف مملوك، كل مملوك عبد له خوائص من الذهب، وعندك مئتا

جارية، لكل جارية حق من الحلي، فإذا أنفقت ذلك كله، وبقيت مماليك بالنود الصوف، بدلاً من الخوائص، وبقيت الجواري بثيابهن دون حلي، أفتيتك بأخذ المال من الرعية)، فغضب الظاهر من كلامه، وقال : اخرج من بلدي، ويعني دمشق، فقال : السمع والطاعة، فخرج إلى نوى، فقال الفقهاء : إن هذا من كبار علمائنا، وممن نقتدي به، فأعاده إلى دمشق، فأمر برجوعه، فامتنع الشيخ، وقال : لا أدخلها والظاهر بها[٧٧]، وهذه الرواية فيها الكثير من الوضوح في شخصية رجل الدين العادل، الذي لا تأخذه في مقالة الحق والإنصاف مخافة الحكام والملوك، ويأنف مصانعتهم والتزلف إليهم.

وكان رجال الدين يقولون كلمة الحق دون خوف في خطبهم ومواعظهم، فقد ذكر عن مجد الدين إسماعيل الواسطي[٧٨]، أنه خطب مرة والظاهر بيبرس حاضر، فتوجه بالكلام له قائلاً: (إنك لن تدعى يوم القيامة بيا أيها السلطان، ولكن؛ تدعى باسمك، وكل منهم يسأل عن نفسه إلا أنت، فإنك تسأل عن رعاياك، فاجعل كبيرهم أباً، وأوسطهم أخاً، وصغيرهم ولداً)[٧٩]، وممارسة القضاء كان من المناصب المهمة، ومن يتولاه يشترط على السلطان شروطاً معينة، تجعله ينصرف بعدالة وحقّانية، ومما يشار هنا في ظل حكم نور الدين (٥٤١-٥٦٩)، أن القاضي كمال الدين الشّهرزوري قد قاضى نور الدين، كما أسلفنا، في دار العدل بالسوية مع خصمه، ولما ثبت الحق له، وتنازل عنه طوعاً، دلل على عدالته[٨٠]، وإن حضور نور الدين إلى دار القضاء، يعزز من هيبته ومكانة القاضي ومؤسسة القضاء، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، تدل هذه الرواية على تواضع نور الدين وحبه في إشاعته العدل بين الناس، ومن أجل تلك؛ بنى دار العدل في دمشق، وسماه دار الكشف، وكان يشارك القضاة والفقهاء في مجالسهم يومين في الأسبوع[٨١].

سار صلاح الدين على نهج نور الدين في نشر العدل، وفض المنازعات، فقد اشتكاه يوماً رجل في دمشق من ابن أخيه، فأرسل من يحضره، فحضر إلى مجلس الحكم، وجاء بمن يشهد عن أعماله، وقد وكّل أبا قاسم[٨٢] في المخاصمة والمنازعة، ثم جرت المحاكمة على الرغم من محبته لابن أخيه، (ولكنه لم يجامل في الحق)[٨٣]، وكان صلاح الدين يردد مقولته المشهورة (أما أنا؛ فلأنْ أخطئ في الصفح، أحب إلي من أن أصيب في العقوبة)[٨٤].

يظهر أن القاضي[٨٥] يتولى بالوراثة إذا أثبت الكفاءة والمقدرة[٨٦]، فقد ولي منصب قضاء دمشق زكي الدين بن القاضي محي الدين بن زكي الدين قاضي قضاة دمشق وأعمالها[٨٧]، وظل في منصبه حتى عزله الملك المعظم، ووهب له قيادة وكلوته[٨٨]، وهذا يدل على مدى مكانة القاضي في دمشق حتى في حالة عزله.

وكان تنفيذ أحكام الشرع في أنحاء المدينة من عمل القضاة الذين يقومون بذلك تحت أشراف قاضي القضاة، وقد اقتصرت المدة السابقة على تعيين قاضي قضاة شافعي، واستمرت هذه الحالة حتى سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٦م، حين أمر بيبرس بوجوب تعيين أربعة قضاة، ليس بالقاهرة فحسب، بل في دمشق أيضاً، وفي هذا يقول أحدهم :

أهلُ دمشقَ استَرابوا مِنْ كَثْرَةِ الحُكَّامِ

إذْ هُمْ جَميعاً شُموسُ[٨٩] وحالُهُمْ في ظَلامِ[٩٠]

كما كانت من واجبات القاضي قمع البدع، والإشراف على توزيع الصدقات، والاهتمام بالأيتام، والإشراف على الأوقاف العامة، وأن يتحرى أمور الشهود، وأن يستشير العلماء، ويجود على المتصوفة والفقراء[٩١]، وكان يحكم بالشريعة في جميع القضايا التي غلبت عليها الأمور الشخصية، أما القضايا التجارية؛ فكانت من اختصاص الإدارة، ولم يكن للقاضي باع فيها، أما أهل الذمة من المسيحيين واليهود، فكانوا من اختصاص محاكمهم الدينية الخاصة[٩٢] بهم، ولم يكن للقضاء الإسلامي صلة في ذلك.

أما المحتسب؛ فهو من الأفراد الذين يتولون الوظائف المتصلة بالأحكام الشرعية، فقد يلقب بالشيخ، وإن منصبه ديني وخلقي، يسند له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقال له متولي الحسبة، ووالي الحسبة[٩٣]، وتعد حسبة دمشق الوظيفة من بين الوظائف الدينية بها، وترتيبها بعد قضاء العسكر، وكان من حق محتسب دمشق تولية نواب الحسبة في أعمال دمشق[٩٤].

احتفظ الفاطميون بهذه الوظيفة التي كان يشغلها أحد العلماء، ويلقب بالشيخ[٩٥] وكان المحتسب من بعد ذلك العهد يقرأ سجلاً بتعيينه على المنبر، وله الأعوان من الرجال، وله صلاحيات واسعة، ويتقاضى مرتباً شهرياً، قدره ثلاثون ديناراً[٩٦]، واستمرت هذه الوظيفة في العهد الأيوبي، وكان يتولاها أحد العلماء، وقد أورد القلقشندي نسخة تقليدية، نصح فيها المحتسب بأن يبتدئ بالنظر أولاً باللّين بالقول، ثم يؤدي باللّسان، وأخيراً؛ يلجأ إلى استعمال السوط[٩٧]، وقد أبيح له– أحياناً– أن يشهِّر بالمدين[٩٨].

احتلت الحسبة مكانة رفيعة في العهد المملوكي، على الرغم من كونها تحتل المرتبة الخامسة من بين الوظائف الدينية، وكان لصاحبها مجلس بالحضرة بدار العدل الشريف[٩٩]، وكانت لوظيفة المحتسب أهمية خاصة في تنظيم الحياة الاجتماعية والعلمية اليومية؛ حيث إنه يمنع الغش في الصناعات والمعاملات والاهتمام بالنظافة، وكل ما يتعلق بالمجتمع وأخلاقه[١٠٠]، وما دمنا في الحديث عن دور المجتمع، فإننا نذكر رواية ياقوت الحموي في أعمال إضافية للمحتسب في اللاذقية، وهي (أن المحتسب يجمع القحاب والغرباء المؤثرين للفساد من الروم في حلقة، وينادي

على كل واحد منهم، ويزايدون عليها، إلى دارهم ينتهون إليها ليلتها عليه، ويأخذونهم إلى الفنادق التي يسكنها الغرباء بعد أن يأخذ كل واحد منهم من المحتسب خاتم المطران حجة معه، ويعقب الوالي، فإنه متى وجد إنساناً مع خاطئة، وليس معه خاتم المطران ألزم خيانته[١٠١]، ويبدو أنه أراد أن يحصر أماكن الفساد في نقطة ضيقة تحت تصرفه، منعاً من انتشارها، هذا من جهة؛ وربما أراد أن يفرض غرامات مالية على هؤلاء الأشخاص في هذا الطريق، من جهة أخرى، تحقيقاً لإرشادهم إلى طريق التوبة والعفة، تماشياً مع حرص الإسلام على الأخلاق والمكارم.

أما قُوّام المساجد والوُعّاظ والخطباء؛ فإنهم مارسوا دورهم في الوعظ والإرشاد، وقد تنسب إليهم مهمات أخرى، كما فعل الملك العادل حينما أرسل خطيب الجامع بدمشق، جمال الدين محمد الدولعي الشافعي[١٠٢]، ونجم الدين خليل بن علي الحنفي قاضي العسكر[١٠٣] بسفارة إلى الدولة الخوارزمية.

فئة أرباب الفكر والقلم :

ينسب إلى هذه الفئة كبار موظفي الدولة غير العسكريين، وقد اختلفت مسؤولياتهم في الدولة باختلاف أصنافهم ومناصبهم وهم الوزير[١٠٤]، وكاتب السر[١٠٥]، وناظر الجيش[١٠٦]، وناظر الأموال، وناظر الخزانة[١٠٧]، وناظر البيوت[١٠٨]، وناظر المال[١٠٩]، وناظر الإسطبلات[١١٠]، وهي من تبعية الحاكم في تسيير أمور الدولة، وتشمل هذه الفئة مما يلتحق بخدمة الحاكم والسلطان في دولته، كما يضاف إليها مجموعة العلماء والأدباء وأصحاب الأخبار، وقد حظيت هذه الطبقة باهتمام النظم السياسية التي تعاقبت على دمشق، فالزنكيون عرف عنهم اهتمامهم بالعلماء[١١١]، فقد نسب إلى نور الدين، (٥٤١-٥٦٩هـ) اهتمامه بهؤلاء؛ إذ كان يستدعيهم من أقصى البلاد، ويسكنهم أفخر القصور، ومنهم شرف الدين ابن عصرون[١١٢]، ولم يكتف بتكريمهم، بل بنى لهم المدارس[١١٣] لينتفع الناس من علومهم، ومن هذه المدارس مدرسته التي عرفت باسمه بدمشق، والتي وصفها ابن جبير (ومن أحسن مدارس الدنيا منظراً مدرسة نور الين رحمه الله، وبها قبره... وهي قصر من القصور الأنيقة، ينصب عليها الماء من شاذروان، وسط نهر عظيم، يمتد الماء على ساقيه)[١١٤]، ولعل اختيار نور الدين مكان مثواه الأخير في المدرسة دليل حي على مدى احترامه للعلم والعلماء، واقتفى صلاح الدين أثر نور الدين بالاهتمام بالعلماء والفقهاء، حتى عد فقهاء عصره، فكانوا ستمائة، كان يدفع لهم رواتب ثابتة[١١٥] ولم يقتصر التكريم على علماء العلوم الإسلامية، بل امتد إلى علوم الطبيعة، فقد ضمت دمشق مجموعة كبيرة من الأطباء، منهم أبو المجد محمد بن أبي الحكم[١١٦] الطبيب والفلكي، والمهندس المعروف أبو زكريا يحيى البياسي[١١٧] طبيب صلاح الدين، وكذلك عمر بن علي البدوخ

الدمشقي[١١٨]، الذي كان عالماً وشاعراً في الأدب، بالإضافة إلى شهرته بالطب، وفي عهد العادل؛ برز مهذب الدين عبد الرحيم[١١٩]، والذي رافقه في أغلب رحلاته، وبجانب ذلك؛ عرف من الأطباء المهتمين بشؤون الصحة عدد كبير في هذه المدة، زخرت بهم المصادر؛ ومنهم ابن النفيس[١٢٠]، وابن أبي اصبيعة الذي ترجم الكثير منهم[١٢١]، وغيرهم[١٢٢].

أما في مجال الهندسة؛ فقد برز عدد من المهندسين في تلك المدة؛ منهم أبو الفضل عبد الكريم[١٢٣]، وزين الدين الأنصاري[١٢٤]، فضلاً عن إبراهيم بن سعيد الذي عاصر الظاهر بيبرس في دمشق؛ حيث أسندت له أعمال كثيرة، وكان من المشهورين، حتى عرف أبناؤه فيما بعد ببني المهندس[١٢٥]، فضلاً عن مؤرخنا الجليل ابن واصل[١٢٦]، الذي برز في مجال الهندسة، وكلك محمد بن أبي المجد.

ونال التاريخ ما يستحقه من الاهتمام من الحكام، وذلك من خلال بروز أشهر المؤرخين منهم الحافظ ابن عساكر[١٢٧]، محدث الشام ومؤرخ مدينة دمشق، وكذلك عماد الدين الكاتب[١٢٨]، الذي كان مرافقاً لصلاح الدين في كل تنقلاته، فكان مؤرخاً حربياً نقل إلينا في كتبه العديد من أخبار بني أيوب[١٢٩]، وكذلك بهاء الدين ابن شداد[١٣٠]، وأسامة بن منقذ[١٣١]، الذي نبغ في الشعر والكتابة، وأبو شامة[١٣٢]، فضلاً عن ابن خلكان[١٣٣]، والذي بعد مدرسة من مدارس السير ومؤلفيها، فضلاً عن ممارسته القضاء في الشام في سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م، وظل بمنصبه حتى وفاته سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م، وكذلك ابن واصل الذي برز مؤرخاً، فضلاً عن العلوم الأخرى، ولهذا؛ يصفه أبو الفدا بأنه رجل فاضل برز في علوم كثيرة في المنطق والهندسة وأحوال الفقه والتاريخ[١٣٤]، وهذه القابلية الموسوعية في إتقان عدد من العلوم نجدها تأخذ دورها في المجتمع الدمشقي بأكثر من جانب، فهذا عمر بن علي الدمشقي، كان طبيباً وشاعراً، وله تصانيف في أصول الفقه والمنطق وفنون أخرى[١٣٥] كالطب، وهذا أبو فضل الحارثي اشتهر مهندساً، وعمل الساعات، واستطاع إصلاح ساعة الجامع الأموي في دمشق، فضلاً عن مزاولته الطب[١٣٦].

ومما يشار إليه في هذا الصدد، بيان ودعم الدولة لهذه الطبقة، أنها كانت تدفع لهم المشاهرات والرواتب المجزية، لكي ينصرف العلماء والفقهاء وأرباب الفكر في شؤونهم العلمية والمعرفية، فقد كان دخل الطبيب (٣٠٠) درهم، والمدرس (٨٠) درهم، والإمام (٤٠) درهم، والمؤذن والمعيد والمحدث (٣٠) درهم[١٣٧]، وكنتيجة لهذا الدعم الحكومي لهذه الطبقة نشطت حركة التأليف والتصنيف في الفنون العلمية المختلفة[١٣٨].

فئة التجار :

كانت التجارة أهم دعائم الثروة والمال في المجتمع الدمشقي، وهي تنقسم- كما هو معروف- إلى داخلية وخارجية، وتعتمد- بصورة عامة- على الوسطاء وأصحاب رؤساء الأموال، فقد شكلت التجارة الثروة الحقيقة في القرن السادس والسابع الهجريين/ الثاني والثالث عشر الميلاديين؛ إذ عملت الحروب الصليبية على ازدياد النشاط التجاري[١٣٩] بين الشرق والغرب، وقد تلمس ذلك ابن جبير، فقال كانت (قوافل المسلمين تخرج من بلاد الإفرنج، وسبيهم يدخل بلاد المسلمين)[١٤٠]، وهذا يعني أن التجارة تتواصل في الظروف السياسية المختلفة بقدر ما تتمثل الحاجة إليها، فقد شهدت مدة الحروب الصليبية هذا الأمر من خلال المعنى الذي أشار إليه ابن جبير، وهو يصف التجارة في بلاد الإفرنج والدولة العربية الإسلامية بقوله : (لا يمنع منهم أحد، ولا يعترض، وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم، وهي من باب الأمانة)[١٤١]، وكانت القبائل التجارية القاصدة البلاد المصرية من دمشق تمر بالمقاطعات والولايات الخاضعة لسلطة الصليبيين، وهذا يشير إلى نشاط التجارة بين الصليبيين والمسلمين، بل إن حقب الحرب نفسها والغزوات الصليبية كانت تتخللها نشاطات تجارية ملموسة فيما ذكر القاضي الفاضل وهو ينقل قول صلاح الدين الذي جاء فيه (ومن هؤلاء الجيوش البنادقة وغيرهم، كل هؤلاء تارة يكونون غزاة لا تطاق ضراوة شربهم، ولا تطفئ شرارة شرهم، وتارة يكونون سُفّاراً يحتكمون على الإسلام في الأموال مجوبة...)[١٤٢]، لكن أيام السلم شهدت نشاطاً تجارياً واضحاً، مما سهل نقل السلع ذات الطابع الإسلامي إلى أوروبا[١٤٣]، ولهذا؛ نجد الرحالة الإيطالي سيمكوني الذي زار دمشق في هذه المدة قد تعجب من أسواقها لما فيها من التحف والمصوغات الدمشقية، فقال : (لو كنت خبأت دراهمك في عظم ساقك، لما توقفت عن كسره؛ لتشتري بها !)[١٤٤].

أسهمت التجارة في الصناعات الثمينة والمصنوعات والثياب الفاخرة والأنيقة على تكوين طبقة من التجار الذي شكلوا موردا مهما لمالية الدولة من خلال الضرائب على تجاراتهم، لكنهم- أحياناً- يتعرضون لأنواع من التعسف في الحياة، مما جعلهم يتقدمون بشكواهم إلى السلطة، عسى أن تستجيب لهم، فقد حصل هذا فعلاً سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م، حين أزال نور الدين حق التسفير على التجار المسافرين من دمشق إلى العراق، وتعقبه رسمه، وإبطال اسمه[١٤٥]، وربما كان هذا رغبة منه في كسب التجار إلى جانبه لما يملكون من مال قد يسعف الدولة عند الحاجة، ومما ينسب لنور الدين أنه اقتصر في ضرائبه على الجزية والخراج، وهو ما يتصل بالزراعة وضرائب أهل الذمة، وألغى ضرائب التجار من المكوس تأكيداً في منهجه على دعم التجارة والتجار، وهذا لا يمنع من وجود سلاطين أخذوا من التجار الشيء الكثير[١٤٦] من أموالهم، وصلت إلى المصادرة في وقت الأزمات[١٤٧].

وفي الغالب؛ لم يكن التجار يسهمون في القتال والحروب، فيما وضح ابن منقذ في وصف أحد أصدقائه بقوله : (هذا رجل برجاسي (أي تاجر) لا يقاتل، ولا يخرج لقتال)[١٤٨]، غير أن بعض التجار أسندت إليهم وظائف إدارية مهمة، فقد أسند الملك العادل إلى أبي إسحاق العسقلاني[١٤٩] التاجر منصب الوزارة في دولته، في حين شارك بعضهم في تموين حاجات السلطان، فهذا تقي الدين توبة بن علي التكريتي[١٥٠] الذي كانت له علاقات تجارية واسعة مع عدد كبير من تجار البلدان الإسلامية، قد أقرض المنصور سيف الدين قلاوون ألف درهم بلا فائدة، وأقرض غلمانه جملة من الأموال، وإن كانت قليلة، لكنها تشير إلى دعم التجار لحاجة السلطان[١٥١]، ولا ندري ما إذا كانت هذه الحاجة شخصية أم عامة.

استمر هذا النهج في اقتراض المال دعماً للجهاد وصيانة مصلحة المسلمين التي تنهض بها الخلافة ببغداد، فحينما طلب صلاح الدين المساعدة من الخليفة، وصل رسول الخليفة ومعه النفط وجماعة من النّقّاطين، ومعهم رفعة تتضمن الإذن للسلطان أن يفترض عشرين ألف دينار من التجار ينفقها في الجهاد[١٥٢].

وللتجار دورهم في مساعدة الحكام في أوقات الخطر، ففي سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م، حين اشتدت محاصرة الأفضل والظاهر لدمشق، وقلت الأقوات، استقرض الملك العادل المال من التجار على أن يسددهم من أمواله الموجودة في قلعة جعبر[١٥٣].

من جانب آخر؛ اشتهر التجار بلقبين أولهما : الصدر أو الصدرى، وثانيهما الخواجة أو الخواجكي، ويسمون كذلك التجار الخواجكية[١٥٤]، وربما كان الاحتكاك بالتجار الأجانب سبباً في هذه التسمية، ولم تتبين– بالدقة– معاني هذه الألقاب، أو دلالاتها التجارية.

فئة الصناع :

احتلت دمشق في القرنين السادس والسابع الهجريين مكانة رفيعة وتطوراً عظيماً في مجال الصناعة، مما ينعكس على أهمية هذه الفئة التي عرفت عن براعتها في صناعات متنوعة، منها السكر والورق الذي عرف من أصنافه في أوربا بالكاغد الشامي المنسوب إلى بلاد الشام، وفي الأندلس بشهرة الكاغد والشامي[١٥٥].

ومن الصناعات الأخرى ذات الصلة بجانب البناء والعمارة، والتي برعت بها دمشق في تلك المدة، صناعة الزجاج والقاشاني والخزف[١٥٦]، والذي يتكون من أنواع جميلة، اشتهر منها ذو البريق المعدني[١٥٧]، وخزف محزوز تحت الدهان، وخزف مرسوم تحت الطلاء[١٥٨].

وفي مجال الصناعات النسيجية، اشتهرت دمشق بالشقق[١٥٩] الحريرية والقطنية، وفي الصناعات الجلدية، وكانت هناك صناعات الرباطات والرشمات والهماميز[١٦٠]، فضلاً على استخدام الجلود

في تجليد الكتب؛ إذ تميزت الكتب الإسلامية بالكعوب المستوية غير البارزة، وبمساواتها في الحجم، وباشتمالها على امتداد الجانب الأيسر باللسان[١٦١]، أما صناعة الأسلحة؛ فأشهرها صناعة السيوف الممتازة التي تُنقش على مقبضها وقبضتها[١٦٢] وواقيتها[١٦٣] الآيات الكريمة، وتصنع لها الأعمال المزخرفة[١٦٤].

ومن الصُنّاع المَهَرَة أولئك الذين عرفوا بالكفتيّين[١٦٥] الذين كفَّتوا الأواني المعدنية من القناديل والطّسوق والمباخر والمزهريات بالذهب والفضة.

وكان أصحاب الحرف والصُنّاع- في هذه المدة- أكثر الناس وفاءً لتقاليدهم الموروثة، وتلقبوا بطوائف الكار أو الحرفة[١٦٦]، التي تنظمها التشكيلات النقابية، وكان تنظيم هذه الطوائف على النحو التالي :

- **الشيخ :**

هو من يرأس الطائفة، ويعين بالانتخاب من بين رجال الحرفة، فيصبح المسؤول عن الحرفة وعن مصالحها، ويقضي في المنازعات بين أفرادها، وكانت قراراته وأحكامه نافذة، ومن واجباته- أيضاً- أنه يمثل الحرفة أمام السلطات، وأنه يسعى إلى محاربة الغش، والتلاعب، كما يقوم بمنح الشهادة لممارسة المهنة[١٦٧]، وهناك أعوانه أمين الصندوق والمسنون الملقبون بالاختيارية، وهم أساتذة الطائفة، ويتعاونون مع الشيخ على إدارة الحرفة؛ حيث يشكلون مجلساً استشارياً خاصاً بالحرفة.

- **الأستاذ[١٦٨] :**

ويدعى أسطى[١٦٩]، وأحياناً (المعلم)، وهو يمثل الجهة الرئيسة من الحرفة.

- **العامل :**

وكان دوره مهما مع قلة مهارته في الطائفة، أما انتقاله إلى طبقة أرقى من طبقته؛ فهذا الأمر يعتمد على إتقانه العمل من خلال استمراره في الممارسة[١٧٠].

وهناك أصحاب الحرف الصغيرة، كالخطاطين والأساكفة والنّاطور[١٧١] والمزملاني[١٧٢]، وغاسل الموتى، والباعة المتجولون، وكذلك تطلق كلمة عامة على المساكين من السؤّال[١٧٣]، وإذا تعطل بعض أصحاب الحرف الصغيرة، بسبب توقف الحرفة، بسبب الكساد أو البطالة، انصرف إلى اللهو، والنهب، وقطع الطرق، والالتجاء إلى الأماكن المجهولة[١٧٤] والبعيدة.

أما أصحاب الفنون الجميلة- وأعني بهم أصحاب المهارات المختلفة-؛ فمنهم الخطاطون؛ وهو أقرب أرباب الصناعات إلى الفن والفكر عند المسلمين، وقد زاول الكثير نت رجال الدولة

والمفكرين هذا العمل، وعدوا ذلك شرفاً كبيراً لهم، فقد احتل الخطاط مكانة خاصة عند رجال الدولة، الذين كانوا يتسابقون لشراء المخطوطات الكاملة والنماذج من كتابة الخطاطين البارزين الذين يُذيِّلون أعمالهم بالإمضاء للدلالة عليهم[١٧٥]، ولم يقف الخطاطون عند حد الخط الجيد فحسب، بل شمل منهم فنون الكتابات الأخرى؛ مثل التجليد، والتصوير، والتذهيب، وقد يميز الخطاط بدقة أعماله؛ إذ كتبت ألفاظ من بعض السور على حبة أرز، أو حبة قمح، وغير ذلك[١٧٦].

أما المصورون؛ فقد احتلوا مرتبة تختلف عن الخطاطين[١٧٧]، فقد تركزت أكثر أعمالهم في الكنائس والأديرة؛ حيث أتقنوا عملهم، ولم يكن لأماكن العبادة الإسلامية والمساجد والجوامع نصيب في ذلك، يسبب موقف التحريم منه، وقد ظهر ذلك في ديرمران[١٧٨]، بسفح جبل قاسيون بدمشق؛ حيث احتوى على عدد من الصور والنقوش، كما ظهر ذلك الإتقان وروعته في كنيسة مريم في ضواحي المدينة، والتي زارها ابن جبير، ووصفها بقوله : (وهي حفيلة البناء[١٧٩] تتضمن التصاوير أمراً عجيباً، تبهت الأفكار، وتستوقف الأبصار...)[١٨٠]، ولم يقتصر الرسم والزخرفة على الكنائس، بل شمل قصور الأمراء، فعندما أمر الظاهر بيبرس بتشييد قصره الأبلق[١٨١]، قام الصُنّاع بزخرفته بمائة أسد صوروها، زخرفها أبيض في أسود في أدق صور[١٨٢]، ولا ندري بماذا يفسر بيبرس هذا الاهتمام بفن التصوير، بالرغم من موقف الإسلام الواضح في ذلك، كذلك شمل هذا الفن– فضلاً عن أماكن العبادة المسيحية– القصور والدور والحمامات، فقد احتوى حمام سيف الدين بدمشق على عدد من الصور[١٨٣].

أما الموسيقيون والمغنون والمغنيات؛ فقد برز منهم ممن تتوفر فيه النباهة والتفرد في هذا الميدان[١٨٤]، ولم تكن الموسيقى والغناء تخلو من العبرة والموعظة، ذلك أن الموسيقى مرافقة للشعر والأدب.

لقد اشتهر عدد من رجال الموسيقى في دمشق عن بقية مدن الشام، فمنهم أبو المجدين أبي الحكم[١٨٥]، الذي يجيد اللعب بالعود والإيقاع والغناء، وكذلك أبو زكريا البياسي الذي برع في العود و (عمل الأرغن أيضاً، وحاول اللعب به، وكان يقرأ عليه علم الموسيقى...)[١٨٦]، فضلاً على علمه في مجال الطب والموسيقى؛ حيث كان طبيب صلاح الدين[١٨٧]، إلى جانب هؤلاء، كان الكثير ممن اشتهر في مجال الموسيقى والطب[١٨٨]. ويظهر أن الموسيقى قد لعبت دوراً في العلاج، استناداً إلى العلاج بالموسيقى، وهو مستوى متطور من العلاج، ولهذا؛ نجد الأطباء في هذا العهد شاركوا في صنع وتطور الآلات الموسيقية.

ويظهر أن الموسيقى ظلت هواية محببة للبعض من الناس بجانب حرفهم الأصلية، فهذا الجمال البستهي، وهو من الموسيقيين الذي برزوا في بلاد الشام في القرن السابع، والذي عرف بمهارته على آلة الجفانة[١٨٩]، بينما كان يشغل وظيفة الخطابة بجامع التوبة[١٩٠]، ولكن أهل المدينة كرهوا[١٩١] أن يكون خطيب الجامع من المغنيين والموسيقيين، فوضعوا القصائد للتشهير به.

وممن مارس الغناء هواية أيضاً محمد بن علي الدهان[١٩٢]، فقد كان يعمل بالدهن، إضافة إلى كونه شاعراً ومغنياً وموسيقياً، ومما تقدم؛ يبدو أن الغناء والموسيقى قد احتلا مساحة واسعة بين الأوساط المختلفة؛ لأنها جميعاً تشترك بالوجدان والإحساس الداخلي الذي يعبر عنه بالعزف الموسيقي.

فئة الفلاحين :

تمتع الفلاح بمكانته الاجتماعية الخاصة بين فئات المجتمع الدمشقي، وقد ساعد على ذلك توفر مقومات الزراعة من المياه والأرض الخصبة، والموقع الذي ساعد في اختلاف نوع المحصول[١٩٣]، وطريقة السقي التي تسبب في تفاوت الضريبة الزراعية، على أن الزراعة كانت هي المهنة الأولى في النشاط الاقتصادي[١٩٤].

عاش الفلاحون في ظل الحكم الفاطمي تحت حالة من عدم الاستقرار وتفاوت في الولاء، وقد ساعدت هذه الظروف غير المستقرة على انحيازهم للسلاجقة ضد الفاطميين، وذلك سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م، عندما دخل أتشز[١٩٥] دمشق.

وصفت سياسة السلاجقة الزراعية بشيوع الإقطاع بنوعَيْه العسكري والمدني، وتشريع عدد من الضرائب الزراعية التي ألحقت أضراراً بالفلاحين، وفي ظل هذه الحال كان على الفلاح أن يجهد نفسه لتحقيق منفعته الزراعية، وفي هذا المعنى يمكن أن نعد السلاجقة ممن قد دفع الفلاحين في زيادة نشاطاتهم الزراعية.

ولما جاء الزنكيون متمثلين بحكم نور الدين لدمشق، اهتم هو الآخر بهذا المعنى فأسقط عن الفلاحين المكوس[١٩٦]، واهتم بحفر الترع والقنوات وتطهيرها[١٩٧]، فضلاً عن عنايته بغوطة دمشق، فأعاد تقسيمها من الناحية الإدارية، مما ترتب عليه توزيع الأراضي[١٩٨] على مستحقين جدد؛ بمن فيهم فريق من الأعراب[١٩٩].

لقد تمتع الفلاح بنوع من الحرية، فقد ذكر السبكي أن (الفلاح حر، لا يد لآدمي عليه)[٢٠٠]، ولكن؛ لا يسمح له بترك الأرض إلا بعد ثلاث سنوات[٢٠١].

وعليه؛ فإن هناك نوعين من المزارعين بموجب بيان، فيما ذكره القلقشندي، وهما القرارية، وهم المستقرون في الأرض، والمزارعون الطوارئ[٢٠٢]، وهم النازحون من جهات أخرى[٢٠٣].

ولم يكن الفلاح ممن يعمل بأجر أو بالسخرة، وإنما يعمل باتفاق بينه وبين مالك الأرض، ليضمن حقه في المحصول الذي تتراوح نسبته النصف أو الثلث، تبعاً لموقع الأرض وطريقة السقي ونوع المحصول، ولكي يطمئن الفلاح على حصوله على حقوقه الزراعية، كان هناك شهود يحضرون القسمة، مقابل أجر يدفعه الفلاح لهم، ولكن الفلاح كان يتحمل مبالغ من المال للأعياد المعروفة[٢٠٤]، والضيافة[٢٠٥] المخصصة المشتملة على منتجات الأرض والألبان واللحوم[٢٠٦]، فضلاً عما يقدمه الفلاح لمالك الأرض من ضرائب، كما كان عليه أن يدفع ضرائب أخرى إلى السلاطين والحكام، فيما أشار لهذه الضرائب شمس الدين سنقر الأشقر[٢٠٧] الذي قرر على ضياع المرج والغوطة مالاً على كل رجل، ما بين ألفي درهم إلى خمسمائة درهم، وفرض ذلك- أيضاً- على ضياع بعلبك والبقاع[٢٠٨]، وهذا الوضع هو أحد النتائج الملموسة للنظام الإقطاعي السلجوقي، وهو أسلوب استخدمه السلاجقة للحصول على المال عندما تخلت عن إيرادات الخراج، وبعد أن منحت العسكريين الإقطاع عوضاً عن مرتباتهم[٢٠٩].

وفي ظل حكم الزنكيين تلمس الفلاحون حالة من الإصلاح والاهتمام بشؤونهم ومصالحهم، من خلال ما ينسب إلى نور الدين في هذا الشأن، فقد ذكرت الروايات- كما ذكرنا سابقاً- أن نور الدين أسقط المكوس ورسوم دار البطيخ والبغل والأنهار، فضلاً عن إبطاله ضمان الهريسة والجبن واللبن[٢١٠] وغيرها، وقد قرأ الأمر على الناس، فاستقبل بالدعاء والشكر، وذلك سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م[٢١١]، كما منح نور الدين مجير الدولة[٢١٢] بعض الأراضي في حمص عوضاً عن دمشق التي سيطر عليها سنة ٥٤١هـ/١١٥٤م، كما ومنح بعلبك إلى نجم الدين أيوب[٢١٣]، على أن نظام الإقطاع استمر في العهد الزنكي، وفقاً لمتطلبات الحالة والظروف السائدة، وبسبب أن هذا النظام من الحكم السلجوقي، وقد انعكس هذا سلباً على محدودية تملك الأراضي بطبقة معينة من الإقطاعيين[٢١٤]، وانعكست بهذا المعنى على الفلاحين وسوء العلاقة معهم وتردي حالتهم المعاشية، وحتى يتمتع الفلاح بالحالة المثلى من الإنتاج الزراعي وازدهاره، فقد أشارت الموارد إلى ضرورة تمتع الفلاح بحرية العمل والاستقرار بأرضه، الأمر الذي صنف الفلاحين إلى نوعين من المزارعين، منهم من كان مستقراً (القرارية)، ومنهم من كان يستخدم وقت الحاجة (الطوارئ)[٢١٥].

وقد شار صلاح الدين وخلفاؤه على هذا المنوال، فقد اقتطع لابن أخيه الملك الأفضل (٥٨٢-٥٩٣هـ/١١٨٦-١١٩٦م) دمشق[٢١٦]، كما اقتطع العزيز، (٥٩٠-٥٩٥هـ/ ١١٩٣-١١٩٨م) دمشق بعد الاستيلاء عليها لعمه العادل (٥٩٣-٦١٥هـ/١١٩٦-١٢١٨م)، وعوض الملك الكامل (٦١٥-٦٣٥هـ/١٢١٨-١٢٣٧م) للناصر داود (٦١٥-٦٢٦هـ/١٢١٨-١٢٢٨م) أراضي

الكرك والبقاع والأغوار على سبيل التعويض، بعد استيلائه على دمشق سنة ٦٢٦هـ/١٢٣٨م[٢١٧].

وفي الفترة المملوكية كان الاهتمام بالزراعة ومصالح الفلاحين أمراً ملموساً، وذلك من خلال توزيع البذور النقية من قبل الدولة، والتي تعرف باسم (التقاوي السلطانية)، ومن أجل تحقيق ذلك تحمل البذور الجيدة من أماكن بعيدة، كما حصل في سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م، حين أمر الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٥٨-١٢٧٧م)، أن تحمل الغلات من مصر إلى دمشق، ومنها وزعت لتكون تقاوي الفلاحين[٢١٨] غير أن الظاهر بيبرس لم يكن راغباً في اعتماد دمشق على مصر بتزويدها بالحبوب الجيدة، وبناءً على ذلك؛ منع الفلاحين من نقلها من مصر، وأمرهم بزراعتها محلياً في دمشق، الأمر الذي أدى إلى غلاء الأسعار، وذلك سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م[٢١٩]، وفي تفسير هذه الظاهرة، يعود الأمر إلى امتناع الفلاحين عن الزراعة مستهدفين إلحاق الضرر بالصليبيين[٢٢٠] الذين ما فتئوا يغيرون عليهم[٢٢١] في مستعمراتهم في المنطقة العربية، أولئك الذين قدموا حديثاً من أوروبا، غير أن تحقيق الهدف الوطني أضر-من جهة أخرى- بسكان دمشق، فوقعوا تحت طائلة الغلاء وارتفاع الأسعار.

على أن نظام الإقطاع استمر في الفترة المملوكية؛ حيث كان أصحاب الإقطاعات يرسلون مندوبيهم في نهاية المواسم الزراعية، لتقدير خراج الأرض المزروعة، غير مهتمين بظروف الفلاحين العامة، كقلة الأمطار والآفات الزراعية والمشاكل والفتن الداخلية، مما انعكس على الريف وإنتاجه الزراعي، الأمر الذي تتأثر فيه التزامات الفلاح المالية بإزاء أصحاب الإقطاع، وقد يحاسب الفلاح قضائياً في حال تقصيره المتعمد، وعدم إيفائه بالتزاماته، غير أن الدولة- في ظروف خاصة- تقع خارج إرادة الفلاح، تمنحه فرصة، تسامحه فيها بموجب مرسوم سلطاني يلغي الضرائب والملتزمات المتحققة على الفلاحين، رعاية من الدولة لمصالحهم، كما حصل في عهد السلطان الناصر[٢٢٢]، حين صدر مرسوم يسامح ما بقي في ذمم أهالي الشام، وقد قرئ هذا في الجامع الأموي، وجاء فيه : (رسم بأمر الشريف ... إنَّ تسامح مدينة دمشق المحروسة وسائر الأعمال الشامية، بما فيها من البواقي المساقة في الدواوين المعمورة إلى المدد المعينة في التذكرة الكريمة المتوجهة بالخط الشريف، وجملة ذلك من الدراهم ألف ألف، وسبعمائة ألف، وستة وأربعون ألف، ومائة وخمسة وأربعون درهماً، ومن الغلال المنوعة تسعة آلاف وأربعمائة غرارة، ومن الحبوب مائتان وثمان وعشرون غرارة، ومن الغنم خمسمائة رأس، ومن الفولاذ ستمائة وثمان أرطال، ومن الزيت ألفان وثلاثمائة رطل، ومن حب الرمان ألف وستمائة رطل)[٢٢٣]، وختمت هذه المسامحة بعبارة : (فليتلقّوا هذه النعمة بالشكر المديد، وسبيل كل واقف على هذا المرسوم

الشريف، اعتماد الحكمة والوقوف عند مدته ورسمه واسمه، وبعض آثار هذا الباقي المذكور بمحور رسمه، والخط الشريف شرّفه الله تعالى وأعلاه حجة بمقتضاه)[٢٢٤].

ويظهر مما تقدم أن المسامحة الصادرة من السلطان ليست على المحاصيل، بل تشمل أموراً أخرى من المبالغ النقدية والمواشي وحتى الزيت...إلخ، فهي تشمل الأرض وما عليها، ولا شك أن هذه الإعانة من قبل الدولة تسهم– إلى حد كبير– في التخفيف من كاهل الفلاحين بالخلاص من دينهم، وتشجيعهم على مواصلة العمل.

الهوامش والمصادر

(١) ابن الأثير، الكامل، ١٢٢/٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢٠/١٢، خاشع المعاضيدي، الحياة السياسية، ص٩٠.

(٢) وأتشز بن أوف الخوارزمي، ويلقب بالمعظم، كما عرف بأقسيس في أكثر المصادر، ابن الأثير، الكامل، ١٢٦/٨.

(٣) حكم أتشز دمشق ثلاث سنوات، وقتله تتش سنة ٤٧١، ابن الأثير، الكامل، ١٢٦/٨.

(٤) ومن القوى العربية في تلك المدة بني عقيل في الموصل، وبني مرداس في حلب، وبنو الجرّاح في فلسطين، انظر خاشع المعاضيدي، الحياة السياسية ص٧، وما بعدها، ص٥٢، وما بعدها، ص٦٤، وما بعدها.

(٥) تلقب تتش تاج الملوك، وتلقب رضوان بفخر الملوك، وتلقب دقاق شمس الملوك، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١١٢، ١٣٧، ١٣٠، ١٤٢، ١٤٥.

(٦) استطاع عماد الدين زنكي – والد نور الدين– من تحرير مناطق كثيرة؛ أهمها استرداد الرها، ابن الأثير، الكامل، ٣٢٦/٨، ٣٢٩، ١٣١، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٧٩/٢.

(٧) آق سنقر جد نور الدين، هو مملوك السلطان السلجوقي عضد الدولة ألب أرسلان، فهم – إذن – مماليك سلاجقة سيطروا على مقاليد الحكم في بغداد، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٧١/٤.

(٨) كما وكان يحضر جماعة من البلدان، فيسألهم عن المحتاجين، حتى يصرف إليهم صدقاتهم من نفقته الخاصة، ومما يحصل عليه من مبالغ أهل الذمة، إضافة إلى ذلك، فقد كان يصرف إليهم الكسوة، وما يحتاجونه من أجرة خياطة، وغيرها، وكان يرى أن تصل الصدقات في آخر كل شهر، ولم يكتف بذلك، بل شمل الهدايا التي تهدى إليه من قبل الملوك، وغيرهم، فكان يرسلها إلى مجلس القضاء، لبيعها، وينفقها في سبيل الله، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٨٠/١، ٢٨١.

(٩) وهو المكان الذي يباع فيه البطيخ، ثم اتسع استعماله؛ ليطلق على المكان الذي تباع فيه الفواكه، محمد حلمي، الروضتين، ٢٤١/١، حاشية (٥).

(١٠) أبو شامة، الروضتين، ٢٤١/١.

(١١) أبو شامة، الروضتين، ٥٥٠/١.

(١٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ١٨١/١.

(١٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٨٤/١.

(١٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٨١/١.

(١٥) عبد القادر بن محمد النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، دمشق، ١٩٥١، ٦٠٦/١.

(١٦) الرحلة، ص٢٥٦.

(١٧) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٨٣/١.

(١٨) ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص١٧١.

(١٩) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٨٣/١.
(٢٠) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٨٤/١، النعيمي، الدارس، ٩٩/١.
(٢١) لما طال مقام نور الدين بدمشق، وأقام أمراؤه ومنهم أسد الدين شيركوه، وكان أكبر أمير معه، وقد عظم شأنه وعلا مكانه، حتى صار شريكا له في الملك؛ اقتنى الأملاك، وأكثر فيها؛ إذ كثرت الشكاوى إلى كمال الدين الذي رفع – بدوره – ذلك إلى نور الدين، فأمر أن تنشأ دار العدل، عبد الرحمن ابن إسماعيل أبو شامة، عيون الروضتين، تحقيق أحمد البسيوني، دمشق، ١٩٩١، ٢٦٠/١.
(٢٢) أبو شامة، الروضتين، ٨/١، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٦٨/١.
(٢٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٦٦/١.
(٢٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٦٧/١.
(٢٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٦٧/١.
(٢٦) أبو شامة، الروضتين، ٢٤١/١.
(٢٧) أبو شامة، الروضتين، ٥٠٥/١.
(٢٨) ابن الأثير، الكامل، ١٣١/٩.
(٢٩) وقد نهج هذا النهج تقي الدين بن شاهنشاه، ابن أخي صلاح الدين، ببناء المدرسة التقوية، والتي تسمى بنظامية الشام، وهي من المدارس الست المشهورة في دمشق، والتي من مدرسيها فخر الدين ابن عساكر الذي انتهت إليه رئاسة الشافعية بالشام، أحمد أحمد بدوي، الحياة العقلية عصر الحروب الصليبية، القاهرة ب، ت، دريد عبد القادر نوري، سياسة صلاح الدين الأيوبي في مصر والشام، بغداد، ١٩٧٦، ص٤٣٥.
(٣٠) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص٢٥٣.
(٣١) وهي جمع خانقاه، وهي من الأماكن التي ينشئها السلطان، وذوي اليسار، للمتصوفة، وكانت تحتوي على وسائل الراحة الكاملة، وذلك من أجل التفرغ للعبادة والتصوف، بعد أن يتخلص من رق العيش، عبد المطلب حمزة، الحياة الفكرية في مصر في العصر الأيوبي والمملوكي، القاهرة، ١٩٦٨، ص١٠٤، دريد عبد القادر، سياسة صلاح الدين ص٤٣٧.
(٣٢) أبي العباس المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بغداد، ١٩٧٠، ١٨٧/٢.
(٣٣) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص٧٦.
(٣٤) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص١٩٣.
(٣٥) وهي الخانقاه التي أنشأتها ست الشام أم الأمير حسام الدين، المتوفاة سنة ١١٩١/٥٨٧، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص١٩١.
(٣٦) الرحلة، ص٢٤٧، طبعة ١٩٥٥.
(٣٧) الرحلة، ص٢٣٣، ٢٥٧.
(٣٨) أبو شامة، الروضتين، ٦٤٠/١.
(٣٩) العالم الفاضل مهذب الدين أبو محمد بن علي بن حامد الدخوار، علاّمة زمانه، انتهت إليه رئاسة الطب، ابن أبي أصبيعة، عيون الأنباء، ص٧٢٨، ٧٣٦.
(٤٠) ابن أبي أصبيعة، عيون الأنباء، ص٧٣٠.
(٤١) عبد الله بن أبيك الدّواداري، كنز الدّرر وجامع الغُرر، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور/ القاهرة ١٩٦٢/ ٣– ١٧٩/١٧٨.
(٤٢) الدّواداري، كنز الدرر، ١٧٩/٣.
(٤٣) ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، ٢٥٧/٢٠.
(٤٤) كان السلاطين المماليك من أجناس مختلفة، من الأتراك والروم والجركس والأرمن وغيرهم، فالملك المعز تركماني، والملك المظفر قطز بن عبد الله تركي، والملك العادل كتبقا مغولي الأصل، وهكذا، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢١١/١٣، ٢٣٨، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٥٥/٧.

[٤٥] المقريزي، الخطط، ٢١٨/٢.
[٤٦] محمد بن علي ين شداد، تاريخ الملك الظاهر، اعتناء أحمد خطيط، بيروت ١٩٨٣، ص٢٥٤-٢٥٥.
[٤٧] ابن شاكر الكتبي، عيون التاريخ، ١٣٥/٢١.
[٤٨] ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص١١٥.
[٤٩] وينضم إلى هؤلاء الأعوان حاجب الحجاب وغيرهم ممن يوافقون السلطان، القلقشندي، صبح الأعشى، ١٨٩/٤.
[٥٠] أحمد رمضان، المجتمع، ص٩٠، جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، ب، ت، ٢٦/٥.
[٥١] وتتألف من كلمتين، أحدهما جاما ومعناها الثوب، ودار ومعناها ممسك، وهو الموظف المسؤول عن لباس السلطان وثيابه، القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٥٩/٥، محمد مصطفى، السلوك، ١٣٣/١/ حاشية (١).
[٥٢] ويتولى صاحبها مقام الحاجب،؛ أي يستأذن على دخول الأمراء للخدمة، القلقشندي، صبح الأعشى، ٢/٤، محمد مصطفى، السلوك، ١٣٣/١ حاشية (١).
[٥٣] ومكونة من كلمتين أحدهما الدّو والدّار، معناها ممسك، وصاحبها يحمل دواة السلطان، ويتولى أمرها من يلحق بذلك، نحو تبليغ الرسل عن السلطان أو الأمير، وتقديم المشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف، القلقشندي، صبح الأعشى، ١٩/٤، ٤٦٢/٥، المقريزي، الخطط، ٢٢٢/٢، محمد مصطفى، السلوك، ١٤١/١ حاشية (١).
[٥٤] وهي ما يحصل عليهن المحررون والفاتحون في الحرب، فهن ملك الفاتحين، ولو كن من بنات الملوك، أو الدهّاقين، يستخدموهن، أو يستولدونهن، أو يتصرفون في بيعهن تصرف المالك بملكه، ابن خلكان، وفيات الأعيان ٣٢٠/١، جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ٣٥/٥.
[٥٥] يرجع ذلك إلى حالة التفاخر بين الحكام من جهة، وإلى حالة الترف وتدفق الأموال وتراكمها من جهة ثانية، الأصفهاني، الأغاني، ١٣٧/١٦، أحمد رمضان، المجتمع، ص٩١.
[٥٦] فاق الفاطميون سواهم في الإكثار من الجواري، فقد كان في قصر الحاكم (١٠.٠٠٠) جارية وخادم، وكانت لأخته السيدة الشريفة ست الملك (٨٠٠٠) جارية، منها (١٥٠٠) من البنات الأبكار، ولما قبض صلاح الدين على قصورهم وجد (١٢.٠٠٠) نسمة ليس فيهم فحل سوى الخليفة وعائلته وأولاده... المقريزي، الخطط، ٣٦/١، ٤٨٥/٢، جرجي زيدان، تاريخ التمدن، ١٣٥/٥، ١٣٦.
[٥٧] كان تعليم الجواري وتزينهن من أبواب الرزق الواسعة في ذلك العصر، حين كان المسؤول عنهن، يروِّينها الأشعار، ويلقنها الغناء، ويحفِّظنها القرآن، أو يعلمهن الأدب والنحو والعروض، جرجي زيدان، تاريخ التمدن، ٣٦/٥.
[٥٨] ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٧٩/٤.
[٥٩] ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦٥/١٣، السيد الباز العريني، الشرق الأدنى، ٣٦/١-٣٧، أحمد رمضان، المجتمع، ص٩١، ص٢٧٧.
[٦٠] اقتنى الملوك والسلاطين وعلية القوم الجواري للغناء والطرب، حتى أصبحت من الأشياء المألوفة في العصر المملوكي أن يكون لكل ملك أو أمير مجموعة من الجواري، الأصفهاني، الأغاني، ٨٠/٥، أحمد رمضان، المجتمع، ص٩١، ص٢٧٧.
[٦١] جمال الدين الشيال، الجاسوسية في حروب الصليبيين، مجلة المقتطف، سنة ١٩٤١، ص٤٦٦، حبيب زيات، احتيال الملوك الصليبيين في رشوة النساء الفرنجيات، مجلة المشرق، مجلد ٣٦، لسنة ١٩٣٨، ص٥٥.
[٦٢] أغلب العبيد في الدولة العربية نتيجة الأسر أثناء الفتوح، فيتحولوا إلى عبيد عند أسيادهم، وهكذا كانوا يقلون ويكثرون لكثرة الحروب، ابن الأثير، الكامل، ١٤٧/٤.
[٦٣] وهي أشبه بفرق الجند، وهي فرق من الغلمان الصغار والرجال الركبانية وغيرهم، ابن الأثير، الكامل، ٢٢٦/٨، أحمد رمضان، المجتمع، ص٩١.

[٦٤] الإخصاء عادة شرقية شائعة عند الآشوريين والبابليين والمصريين القدماء، وأخذ عنهم الرومان والإفرنج، ولما شاع الحجاب بين المسلمين، استخدموا الخصيان في دورهم، وأول من نهجتها سميراميس ملكة آشور نحو (٢٠٠٠) قبل الميلاد، جرجي زيدان، تاريخ التمدن، ٣٣/٥-٣٤.

[٦٥] المقريزي، الخطط، ٣٧٧/١.

[٦٦] وهو أحد كبار الدولة الأيوبية، كان شهماً شجاعاً، بنى قلعة الجبل، وسلمه نور الدين عكا، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٤/١٢.

[٦٧] أحمد رمضان، المجتمع، ص٩١، جرجي زيدان، تاريخ التمدن، ٣١/٥.

[٦٨] جرجي زيدان، تاريخ التمدن، ٣٢/٥.

[٦٩] ابن كثير، البداية والنهاية، ٢١١/١٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٧، ٥٥، أحمد رمضان، المجتمع، ص٩٠.

[٧٠] عاشور، المجتمع، ص٣٠.

[٧١] عاشور، المجتمع، ص٣٠.

[٧٢] ظهرت هذه الفئة لتقوم بواجباتها الدينية، ولكن العلماء جعلوها طيقة لغايات سياسية، عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة العربية في العصور الوسطى، ط٣، القاهرة، ١٩٧٣، ص٨٥.

[٧٣] شيخ الإسلام عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الشافعي، توفي ٦٦٠هـ، السبكي، طبقات الشافعية، تحقيق، محمود محمد، القاهرة، ب، ت، ٢٠٩/٨، وموسى بن محمد اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ط١، الهند، ١٩٥٤، ٥٠٥/١.

[٧٤] زين الدين عمر ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، المطبعة الوهابية، ١٨٧٧، ١٧١/١ السبكي، طبقات الشافعية، ٢١٠/٨.

[٧٥] جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، ب، ت، ٧٩/٢، جميل بيهم، المرأة في حضارة العرب، ط١، دار النشر للجامعين، ١٩٦٢، ص٢٧٧-٢٧٨.

[٧٦] يحيى بن شرف الدين بن الحسن بن حجمة الجازمي، محيي الدين بن زكريا الدمشقي العلامة، توفي سنة ٦٧٦هـ، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٤/١٣.

[٧٧] ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٢٢٥/٢.

[٧٨] عماد الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن سور الواسطي، الفقيه الزاهد، توفي سنة ٧٢١هـ، الحنبلي، شذرات الذهب، ٢٤/٦.

[٧٩] ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ٢٢٥/٢، جميل بيهم، المرأة، ص٢٢٧-٢٧٨.

[٨٠] ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٦٦/٢٠-٢٦٧.

[٨١] ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية، ص٢٣.

[٨٢] هو أبو القاسم أمين الدين قاضي حماة، ابن شداد، سيرة صلاح الدين، ص٢٣.

[٨٣] ابن شداد، سيرة صلاح الدين، ص٢٣، نوري، سياسة صلاح الدين، ص٤١٦.

[٨٤] ابن جبير، الرحلة، ص٢٧٠، نوري، سياسة صلاح الدين، ص٤١٦

[٨٥] انظر الملحق الخاص بالقضاء برقم (٣)، ص٢٥٥.

[٨٦] شغل منصب القضاء شخصيات لها ثقلها العلمي والديني، فقد اعتمد صلاح الدين علي القاضي ابن عصرون، الذي ولاه القضاء في دمشق، ابن واصل، مفرج الكروب، ٢٩/٢، كما واتصل بخدمته سنة ٥٨٣هـ، القاضي لها، الدين ابن شداد الذي أثبت براعته في الجهاد، وتأليفه لصلاح الدين كتابا يشمل فضائل الجهاد، ولهذا؛ ولاه قضاء العسكر، دريد عبد القادر، سياسة صلاح الدين، ص٤١٦.

[٨٧] أورد ابن أبي أصيبعة طريقة عزله هذا القاضي، ومحاولة توسط أمه وبعض خواصه لرده إلى منصب القضاء، عيون الأنباء، ص٧٢٩-٧٣٠.

[٨٨] الدّواداري، كنوز الدرر، ١٥٣/٧.

[٨٩] يعني القضاة الذين عينهم بيبرس سنة ٦٦٤هـ، وجميعهم يحملون لقب شمس الدين، وهم شمس الدين عبد الله بن عطاء الحنفي قاضي، وزين الدين بن محمد بن عبد السلام بن علي بن عمرو قاضي المالكية، وشمس الدين عبد الزهرة الشيخ بن عمرو الحنبلي قاضي الحنابلة، وسمي كذلك شمس الدين بن خلكان، المقريزي، السلوك، ٥٤٢/١-٥٤٣.

[٩٠] المقريزي، السلوك، ٥٤٢/١-٥٤٢.

[٩١] القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٢/٢-٤٩، أحمد رمضان، المجتمع، ص٩١.

[٩٢] نقولا زيادة، دمشق وعهد المماليك، بيروت، ١٩٦٦، ص١٥٦.

[٩٣] حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٦، ١٠٢٧/٣.

[٩٤] القلقشندي، صبح الأعشى، ١٩٣/٤، حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ١٠٣٧/٣.

[٩٥] عبد الرحمن بن الشيرازي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، بيروت، ١٩٦٩، ص١٢٣، القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٦٠/١٠، أحمد رمضان، المجتمع، ص٩٩.

[٩٦] وكانت الحسبة تسند إلى وجوه المسلمين والأعيان لأنها خدمة دينية، المقريزي، الخطط، ٤٦٣/١، حسن إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر، القاهرة، ب، ت، ص١٩٢.

[٩٧] القلقشندي، صبح الأعشى، ٦٨/١١-٧١، حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ١٠٣٦/٣.

[٩٨] القلقشندي، صبح الأعشى، ٦٨/١١-٧١، حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ١٠٣٦/٣.

[٩٩] أحمد رمضان، المجتمع، ص١٠٠.

[١٠٠] السيد الباز العريني، الشرق الأدنى، ص٢١٤.

[١٠١] معجم البلدان، ٦/٥.

[١٠٢] جمال الدين محمد بن عبد الملك بن زيد بن ياسين الدولعي، نسبة إلى الدولعية بالموصل، ولي الخطابة في جامع دمشق بعد وفاة أبيه سنة ٥٩٨، وكان فاضلاً، وظل خطيبا حتى وفاته سنة ٦٣٥هـ، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٦/١٣.

[١٠٣] أبو شامة، ذيل الروضتين، ص١٠٩-١١٠، نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية، بغداد، ١٩٧٧، ص١٥٢.

[١٠٤] وهي من أجل وظائف أرباب الأقلام، لأنها تلي السلطان، إذا نصف، وعرف حقه، ومتوليها صاحب الكلمة النافذة، وهي استمرار للفترات السابقة، ابن فضل العمري، مسالك الأبصار، ص١١٩، القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٨/٤.

[١٠٥] مصمم كتاب الكتب الواردة إلى السلطان، وكتابة أجوبتها، وتسفيرها، بعد أخذ توقيع السلطان عليها، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل، بالإضافة إلى التوقيع على بعض الأمور بجوار توقيع الوزير، بعد موافقة السلطان، ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص١٢٠، القلقشندي، صبح الأعشى، ٣٠/٤.

[١٠٦] وظيفة جليلة يسمى متوليها الناظر، ويساعده عدد من المستوفين، وديوانه من أرفع دواوين الأموال، وفيه بيت التواقيع والمراسيم السلطانية، ابن فضل الله العمري،مسالك الأبصار، ص١٢٠-١٢١، القلقشندي، صبح الأعشى، ٣٠/٤-٣١.

[١٠٧] وكانت الخزانة مستودع أموال الدولة وإلى جانبها الخزانة الكبرى، وفي الغالب يكون ناظرها من القضاة، أو مما يلحق بهم، ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص١١١، القلقشندي، صبح الأعشى، ٣١/٤.

[١٠٨] وإليه أمور السلطان كلها من المطبخ والشرابخانة وله تصرف تام لكل ما يحتاجه السلطان، وتبعيته من الكسوة والنفقات مما يجري مجرى ذلك، ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص١٢١، القلقشندي، صبح الأعشى، ٣١/٤، المقريزي، الخطط، ٢٢٧/٢.

[١٠٩] وصفها ابن فضل الله العمري بأنها وظيفة جليلة معتبرة، موضوعها حملة حمول المملكة إلى بيت المال، وأضاف المقريزي (ثم تلاشى المال وبيت المال، وذهب الاسم والمسمى، ولا يعرف اليوم ببيت المال..)، مسالك الأبصار، ص١٢٢.

(١١٠) وهو ديوان جليل مباشرته في إسطبل السلطان، وما يتعلق به من أرزاق وغيرها، وهي وظيفة جليلة القدر، ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص٢٢، المقريزي، الخطط، ٢/٢٤٤-٢٢٥.

(١١١) ربما استناداً إلى حديث الرسول ﷺ (صحبة العالم زيادة في الدين وصحبة الجاهل نقصان منها) مؤلف مجهول، كنز الأخبار مخطوط بدار صدام للمخطوطات برقم ١٦٠٩٦، ورقة (١).

(١١٢) شرف الدين أبو سعد عبد الله أبي سري محمد بن هبة بن مظهر الشافعي، من أعيان الفقهاء والفضلاء توفي سنة ٥٨٥هـ، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/٢٥٦.

(١١٣) عدت مدارس دمشق إحدى وستين مدرسة وهي موزعة على ما يلي : المدارس الشافعية ثلاث وأربعون مدرسة، ومدارس الحنفية إحدى وثلاثون مدرسة ومدارس الحنبلية عشر مدارس، والمالكية أربع مدارس، ومدارس الأطباء ثلاث، أحمد الأريلي، مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها، تحقيق محمد أحمد الدهان، دمشق، ١٩٤٧، ص١٤.

(١١٤) الرحلة، ص٢٥٦.

(١١٥) محمد كرد علي، خطط الشام، دمشق، ١٩٧٠، ٤/٣٤.

(١١٦) وهو أبو الفضل أبو المجد عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي، من الحكماء المشهورين والعلماء الأفاضل في الصناعة الطبية، وكذلك في علم الهندسة والنجوم، وكان يعرف الموسيقى، ويلعب العود، ويجيد الغناء والإيقاع وسائر الآلات، توفي في القرن السادس، ابن أبي اصبيعة، عيون الأنباء، ص٦٢٨.

(١١٧) أمين الدولة أبو زكريا بن إسماعيل الأندلسي البياسي من الفضلاء المشهورين والعلماء المذكورين، تفنن بصناعة الطب، وتميز بالعلوم الرياضية، ويجيد اللعب على العود، وخدم صلاح الدين في مجال الطب، ابن أبي صبيعة، عيون الأنباء، ص٦٢٨.

(١١٨) أبو جعفر عمر، كان فاضلا في معرفة الأدوية المفردة والمركبة، وكان له في سوق اللبادين دكانا يعالج فيه، توفي سنة ٥٧٦هـ، ابن أبي اصبيعة، عيون الأنباء، ص٦٢٨-٦٣٠.

(١١٩) وهو العالم الفاضل أبو محمد بن علي بن حامد، علامة زمانه، وإليه انتهت صناعة الطب ومعرفته، وما ينبغي، ويعرف بالدخوار، ابن أبي اصبيعة، عيون الأنباء، ص٧٢٨-٧٣٦، أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، بيروت، ١٩٨١، ص٢١٨.

(١٢٠) وهو صاحب التصانيف الكثيرة، فقد صنف في أصول الفقه والمنطق، وكان مشاركا في الفنون، في مجال الطب كان بعد ابن سينا، لإتقانه العلم وصنعته، توفي سنة ٦٨٧هـ، السبكي، طبقات الشافعية، ٨/٣٠٥-٣٠٦، حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، الموصل، ١٩٧٧، ص٦٥-٦٦.

(١٢١) أورد ابن أبي اصبيعة بابا كاملا في كتابه عن أطباء بلاد الشام، وخاصة من المدن التي نحن بصددها، عيون الأنباء، ص٦٠٩، وما بعدها.

(١٢٢) نبغ في دمشق، كذلك أبو الحكم المعروف بالحكيم (ت ٥٧٤)، وابن صلاح عالم الحكمة، وتميز بالطب (ت ٥٤٠)، وموفق الدين ابن مطران (ت ٥٨٧)، وكذلك شرف الدين ابن الرحبي (ت٦٦٧)، ونجم بن المفتاح المعروف بابن العالمية (ت ٦٣٥)، والجمال المحقق بن عبد الله الدمشقي (ت ٦٤٩)، ابن أبي اصبيعة، عيون الأنباء، ص٦٥٩، ٦٥١، ٦٧٥، ٦٨٣، محمد كرد علي، خطط السام، طبعة ١٩٧٠، ٤/ ٣٥، ٤٠، أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات، ص٢١٦-٢٢٣.

(١٢٣) أبو الفضل محمد بن عبد الكريم الحارثي، ولد بدمشق، وكان يعرف بالمهندس لشهرته، فضلا عن دراسته العلوم الأخرى، وعمل بالساعات، واستطاع أن يصلح ساعة الجامع الأموي في دمشق، كما زاول مهنة الطب، ابن أبي اصبيعة، عيون الأنباء، ص٦٦٩، أحمد تيمور، أعلام المهندسين، ص٤٧، أحمد رمضان، المجتمع، ص١٠٥.

(١٢٤) زين الدين بن علي الأنصاري الدمشقي، المعروف بان جنحة الحنبلي، من أعيان أهل العلم، وله رأي صائب، وكان صلاح الدين يسميه عمرو ابن العاص، محمد كرد علي، خطط الشام، طبعة ١٩٧٠، ٤/٣٥، أحمد رمضان، المجتمع، ص٩١.

[١٢٥] أحمد تيمور، أعلام المهندسين، ص٥١، أحمد رمضان، المجتمع، ص١٠٥.
[١٢٦] جمال الدين محمد بن واصل، مؤرخ جليل صاحب كتاب مفرج الكروب، وهو مهتم بتاريخ بني أيوب، توفي سنة ٦٩٧هـ، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١١٣/٨.
[١٢٧] أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، مؤرخ الشام، ت٥٧١، الحموي، معجم الأدباء، بيروت، ب، ت، ٧٣/١٣، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٧/٢، كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار ووليد يعقوب، القاهرة، ١٩٧٧، ٩٦/٦.
[١٢٨] أبو عبد الله صفي الدين أبو الفرج محمد، المعروف بعماد الدين الكاتب، توفي سنة ٥٩٧، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤١٣/٤.
[١٢٩] عبد المنعم ماجد، الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي، مصر، ١٩٥٨، ص١٤.
[١٣٠] أبو المحاسن يوسف بن رافع بن شداد، ولد بالموصل سنة ٥٣٩، وزار عددا من المنطق، ومنها دمشق؛ حيث ولاه صلاح الدين قضاء العسكر والقدس سنة ٥٨٤هـ، ثم انضم إلى الملك الظاهر صاحب حلب، واستطاع أن يبني مدرستين، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٨١/٦، بروكلمان، تاريخ الأدب، ١١/٦.
[١٣١] أبو المظفر أسامة بن منقذ بن علي بن مقلد الكناني الشيزري، توفي سنة ٥٨٤هـ، الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق، شكري فيصل، دمشق، ١٩٥٥، ٤٩٨/١، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٨١/١.
[١٣٢] عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، مؤرخ جليل، توفي سنة ٦٦٥هـ، السبكي، طبقات الشافعية، ١٦٥/٨-١٦٨، الحنبلي، شذرات الذهب، ٣١٨/٥، بروكلمان، تاريخ الأدب، ١٤/٦.
[١٣٣] شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان الشافعي، توفي سنة ٦٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣١٨/١٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٥٣/٧، الحنبلي، شذرات الذهب، ٣٧١/٥.
[١٣٤] أبو الفدا، المختصر، ٤٧/٧، طبعة بيروت.
[١٣٥] السبطي، طبقات الشافعية، ٣٠٥/٨-٣٠٦، حكمت نجيب، دراسات في تاريخ العلوم، ص٦٥-٦٦.
[١٣٦] ابن أبي اصبيعة، عيون الأنباء، ص٦٦٩، أحمد تيمور، أعلام المهندسين، ص٤٧، أحمد رمضان،المجتمع، ص١٠٥.
[١٣٧] أورد الأستاذ نقولا زيادة الأرقام بالدولار، وقد قمنا بتحويلها إلى دراهم، وذلك اعتمادا على النسبة التي ذكرها الأستاذ نقولا على الصفحة (١٦٨)، وهي (١٧ درهم يساوي ١.١٩ دولار) ولا ندري من أين حصل الأستاذ زيادة على معلوماته، وبالدولار بالتحديد، دمشق، ص١٤٧.
[١٣٨] نقولا زيادة، دمشق، ص١٤٧.
[١٣٩] تنوعت البضائع المصدرة خلال الحروب الصليبية، فقد شملت المنسوجات كالأقمشة والثياب، وكذلك النحاس والأصباغ والزجاج والأخشاب، يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، بيروت، ١٩٥٨، ٢٧٧/١، كما كانوا يحملون الياقوت والماس من الهند، والؤلؤ من البحرين، والقطن والعاج من الحبشة، والأدهان والزيوت العطرية من نيسابور، والثياب المنسوجة والحرير من أصفهان، والقراطين والسنور والبسط من مصر، والخزف من البصرة، والحصر من عبادان، والمسك والكافور من الصين، جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ٤٥/٥.
[١٤٠] الرحلة، ص٢٧١-٢٧٣.
[١٤١] الرحلة، ص٢٦٠.
[١٤٢] أبو شامة، الروضتين، ٤١٢/١، أحمد رمضان، المجتمع، ص١١٩.
[١٤٣] أرنولد، الفن الإسلامي وأثره على أوروبا، تراث الإسلام، ط٢، بيروت، ١٩٧٢، ص٢٢٥.
[١٤٤] صفوح خير، دمشق، ص١٦٥.
[١٤٥] أحمد رمضان، المجتمع، ص١٠٧.
[١٤٦] ظلم بعض السلاطين الرعية بالضرائب الكثيرة، فهذا الملك المعظم عيسى بن العادل، قد ظلم الرعية بالمكوس، بالإضافة إلى بعض السلاطين الذي خلفوا ثروة من المال، كان قسم منها من الضرائب المفروضة على التجار، أمثال الملك العادل، والملك الأفضل، باشا، أدب الدول المتتابعة، ص٧٥.

[١٤٧] استخرج ثلث أموالهم، وأنفقت على المقاتلة في الشام لصد جحافل التتار، ودعما لروح الجهاد، وذلك سنة ٧٠٠هـ، ابن الوردي، ٢٤٩/٢، باشا، أدب الدول، ص٧٥.

[١٤٨] ابن منقذ، الاعتبار، نشر فيليب حتي، ١٩٣٠، ص١٤١.

[١٤٩] صفي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله العسقلاني، توفي سنة ٦٥١هـ، حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق، القاهرة، ١٩٥٧، ص٨٥.

[١٥٠] تقي الدين توبة بن علي بن مهاجر بن شجاع الربيعي التكريتي، تنقل في الخدم، حتى صار وزيراً بدمشق لمرات، توفي سنة ٦٩٨هـ، ابن كثير، البداية والنهاية، ٦/١٤، الحنبلي، شذرات الذهب، ٤٤١/٥.

[١٥١] صالح مهدي عباس، النشاط الثقافي والحضاري، لأعيان أهل تكريت من بلاد الشام، موسوعة مدينة تكريت، بغداد، ١٩٩٧، ٢٥٧/٣.

[١٥٢] ابن شداد، سيرة صلاح الدين، ص١١٨-١١٩

[١٥٣] ابن واصل، مفرج الكروب، ١٠٠/٣، محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، تاريخ ابن الفرات، تحقيق حسن محمد الشمّاع، البصرة، ١٩٦٩، ١٦٣/٢/٤.

[١٥٤] القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٩٠/٥-٤٩٥.

[١٥٥] أحمد رمضان، المجتمع، ص١٠٨.

[١٥٦] زكي محمد حسن، فنون الإسلام، القاهرة، ١٩٤٨، ص٢٨٩، أحمد رمضان، المجتمع، ص١٠٨.

[١٥٧] وهو نوع من الخرق، يحتوي على زخارف من كتابات كوفية، وهي ترجع إلى القرن الثالث عشر، ريموند، الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، ط٢، مصر، ١٩٥٨، ص٢١٨، منير كيّال، فنون وصناعات دمشقية، دمشق، ١٩٦٤، ص١٥٣.

[١٥٨] ويظهر أن الأواني المدهونة بطلاء واحد تقليد للخزف الصيني، سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في بلاد الشام، ص١٨٨-١٨٩، مصر والشام، بيروت، ١٩٧٢، ص١٤٨.

[١٥٩] وهي عبارة عن قماش طوله تسعة أذرع، وعرضه ذراع، وقد كان صناع النسيج يتفننون في نقشه وصفّه، مما يدل على رسوخ قدمهم في هذه الطريقة، التي ذاع صيتها في القرن السابع في دمشق وحلب وحمص وطرابلس، أحمد رمضان، المجتمع، ص١١٠.

[١٦٠] أحمد رمضان، المجتمع، ص١١١.

[١٦١] حسن الباشا، مدخل إلى الآثار الإسلامية، مصر، ب، ت، ص٤٥٩.

[١٦٢] وهي الحديدة العريضة التي تلبس أعلى السيف، وقد تكون كروية الشكل، عبد الرحمن زكي، السيف في العالم الإسلامي، القاهرة، ١٩٥٧، ص١٧٨.

[١٦٣] وهي الحديدة أسفل المقبض، معترضة على ضم لها طرفان ينتهيان بقطعتين كرويتين، عبد الرحمن زكي، السيف، ص١٧٨.

[١٦٤] ويمتاز جوهر السيف الدمشقي بأشكاله الهندسية المحكمة الرائعة، وبلونه المائل للبياض، مع عدم قبوله الصدأ، وثبوت جوهره، كما امتاز بلونه مصنوعا من قطعة واحدة لا لحام فيها، عبد الرحمن زكي، السيف في العالم الإسلامي، ص١٦٨.

[١٦٥] التكفيت كلمة فارسية من الفعل كفتن، بمعنى وضع مادة غالية الثمن في مادة أرخص منها، ومختلفة عنها في اللون، بالكفت النحاس والبرونز بالذهب والفضة، وقد ازدهر هذا الأسلوب في زخرفة المعادن في عصر السلاجقة، وانتشر في مصر والشام في القرن السابع الهجري، سعاد ماهر، مشهد الإمام علي (ع) بالنجف مصر، ١٩٦٩، ص٣٢٨، أحمد رمضان، المجتمع، ص١١١، وربما تعني الفلونة.

[١٦٦] أحمد رمضان، المجتمع، ص١١١-١١٣.

[١٦٧] فؤاد العادل، المجتمع الشامي، مكان وسنة الطبع بلا، ص٦.

[١٦٨] كلمة فارسية ومعناها السيد المشهور بعلمه، وقد استخدمت في العربية للدلالة على الماهر، وهي معربة؛ لأنه لا توجد في العربية كلمة أصلية تجمع بين الذال والسين، أحمد رمضان، المجتمع، ص١١١، المنجد في اللغة والإعلام، ط٢٢، بيروت، ١٩٨٦، ص١٠.

[١٦٩] وهي تحريف لكلمة أستاذ، حسن الباشا، الفنون والوظائف، ٦١/١، أحمد رمضان، المجتمع، ص١١٣.

[١٧٠] أحمد رمضان، المجتمع، ص١١٣.

[١٧١] وهو العامل المتطوع لحراسة الملابس في الحمامات، السبكي، معيد النعم، ص١٣٧.

[١٧٢] وهو حامل الماء وعامل السبيل (السّقا)، أحمد رمضان، المجتمع، ص١٠٧.

[١٧٣] السبكي، معيد النعم، ص١٤١، أحمد رمضان، المجتمع، ص١٠٧.

[١٧٤] أحمد رمضان، المجتمع، ص١٠٧.

[١٧٥] أحمد رمضان، المجتمع، ص١٠٧.

[١٧٦] حسن الباشا، فنون الإسلام، ص١٥٦، أحمد رمضان، المجتمع، ص١٠٧.

[١٧٧] يطل من المصور أن ينفخ الروح فيمن صوره، فلا يستطيع، فيعذب أكثر، وبهذا؛ نجد مكانته تختلف عن الخطاط، وهي مهمة يفخر صاحبها، وهذا ما يؤكده الحديث (إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صور)، فنسنك ي، ب، واي، المعجم المفهرس للحديث النبوي، ليدن، ١٩٦٥، ٤٣٥/٣، ريشارد انفهاوزن فن التصوير عند العرب، ترجمة عيسى سلمان، سليم التكريتي، بغداد، ١٩٧٤، ص١٩٢، من الترجمة.

[١٧٨] وهي محلة عامرة اهله بالسكان، وسميت بهذا الاسم لوجود الدير فيها، وهي على تل مشرف على مزارع الزعفران، وقد ذكرها الطبري عند حديثه عن وصول خالد بن الوليد إلى دمشق، الطبري، تاريخ الطبري، ٢٤٢/٧، الحموي، معجم البلدان، ٥٣٣/٢، لامنس، درمران، دائرة المعارف، ٣٦٣/٩.

[١٧٩] حفيلة البناء، بتاؤها مبالغ فيه، ابن جبير، الرحلة، ص٢٥٥.

[١٨٠] الرحلة، ص٢٥٥.

[١٨١] وهو القصر الذي شيده الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥هـ، وهو من عجائب الدنيا، يشرف على الميدان الأخضر في الغوطة، شيخ الربوة، تحفة العجائب، ص٣٩، محمد كرد علي، غوطة دمشق، ص٢٥٢، أحمد تيمور، خيال الظل ولعب التماثيل المصورة عند العرب، ط١، القاهرة، ١٩٥٧، ص٧٩.

[١٨٢] محمد كرد علي، خطط الشام، طبعة ١٩٧١، ٥٦٩/٥-٥٧٠، النعيمي، مقامات الحريري المصورة، ص٧٩.

[١٨٣] أحمد رمضان، المجتمع، ص١٠٥.

[١٨٤] الأصفهاني، الأغاني، ١٢٢/٢-١٢٩، أحمد رمضان، المجتمع، ص١٠١.

[١٨٥] ابن أبي اصبيعة، عيون الأنباء، ص٦٢٨.

[١٨٦] ابن أبي اصبيعة، عيون الأنباء، ص٦٣٧.

[١٨٧] ابن أبي اصبيعة، عيون الأنباء، ص٦٣٧.

[١٨٨] ومن علماء الموسيقى صفي الدين عبد المنعم بن فاخر، نجم الدين بن المنفاخ المعروف بابن العالمة، وفخر الدين الساعاتي، وكذلك رشيد الدين بن خليفة، وعلم الدين قيصر، ابن أبي اصبيعة، عيون الأنباء، ص٦٦١-٧٢٨.

[١٨٩] وهي في الأصل القيثارة، ابن سيدة، المخصص، ١٧٥/٤، أحمد رمضان، المجتمع، ص٢٠٢.

[١٩٠] وهو من مساجد دمشق المهمة التي ترجع إلى القرن السابع الهجري، أنشأ الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبو بكر في حي العقيبة، وكان – سابقا – خانا يدعى خان الزنجاري، الذي اشتهر بالفسق والفجور، فأمر الملك الأشرف بهدمه، وبنى بدله جامع التوبة، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص٨٧، أبو شامة، ذيل الروضتين، ص١٦٣، النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ٤٢٦/٢.

[١٩١] وضعوا بدله الإمام عز الدين عبد السلام خطيبا لجامع التوبة، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص٨٨.

[١٩٢] محمد كرد علي، خطط الشام، ١٠٨/٤.

(١٩٣) محمد كرد علي، خطط الشام، ١٨٨/٤.
(١٩٤) الماوردي، الأحكام السلطانية، مصر، ب، ت، ص١٤١، وما بعدها.
(١٩٥) ألحق أتشز مظالم بأثرياء دمشق عن طريق الضرائب وغيرها، فيما أسهم في إحداث الأزمة الاقتصادية في دمشق، فضلاً عما أحدثته الحروب والمنازعات الإقليمية بين الحكام في تلك المدة، أحمد رمضان، المجتمع، ص١٧٢.
(١٩٦) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٠٩.
(١٩٧) أحمد رمضان، المجتمع، ص١٧٢.
(١٩٨) لقد نهى الأتابك زنكي أصحابه عن اقتناء الأملاك، ويقول : إذا كانت البلاد لنا، فأي حاجة بكم إلى الأملاك، فإن الإقطاع تغني عنها، محمد كرد علي، غوطة دمشق، ص١٢٦.
(١٩٩) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٠٣/٤-٢٠٤، محمد كرد علي، غوطة دمشق، ص١٢٦، أحمد رمضان، المجتمع، ص١٧٢.
(٢٠٠) السبكي، معيد النعم، ص٤٤، أحمد رمضان، المجتمع، ص١٧٩.
(٢٠١) وربما كان أشد من ذلك، فمن نزح عن أرضه قبل هذه المدة يعاد إليها قهرا، السبكي، معيد النعم، ص٤٤.
(٢٠٢) وهم المزارعون الاحتياط، الذين يستخدمون وقت الحاجة، وينتهون بانتهائها، القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٥٨/٣.
(٢٠٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٥٨/٣.
(٢٠٤) شهاب الدين أحمد النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، ١٩٧٦، ٢٤٥/٨.
(٢٠٥) النويري، نهاية الأدب، ٢٤٥/٨.
(٢٠٦) النويري، نهاية الأدب، ٢٤٥/٨.
(٢٠٧) هو شمس الدين سنقر الأشقر المنصوري، تولى وظائف عدة، منها العمل في الدواوين بدمشق، وكذلك الإشراف على ترميم الحصون، واستقل بدمشق سنة ٦٧٨هـ، وحلف له الأمراء بذلك، ولكن المنصور قلاوون أرسل له قوة استطاعت هزيمته، توفي سنة ٧٠٩هـ، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٠٢/١٣، المقريزي، السلوك، ٧٥١/١.
(٢٠٨) آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ترجمة عبد الهادي عبلة، دمشق ١٩٨٥، ص٣٧٨.
(٢٠٩) المقريزي، السلوك، ١٥٤/١.
(٢١٠) كانت رسوم توضع على المنتوجات الزراعية من الأراضي المستفيدة من نهر بردى، ورسوم على المنتوجات الصناعية والغذائية كالهريسة واللبن والجبن وغيره، البسيوني، عيون الروضتين، ٢٥٢/١، حاشية (١).
(٢١١) أبو شامة، عيون الروضتين، ٢٥٠/١-٢٥١.
(٢١٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٣٢٧، ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص١٠٦-١٠٧، أبو شامة، الروضتين، ٨٥/١.
(٢١٣) نجم الدين أيوب بن شادي والد السلطان صلاح الدين وأخ أسد الدين شيركوه، توفي سنة ٥٦٧، أبو شامة، الروضتين، ٢٠٩/١، الحنبلي، شذرات الذهب، ٢٢٦/٤.
(٢١٤) كان الإقطاع الأيوبي من موارد الدولة؛ إذ جرت العادة في جميع الإقطاعات الأيوبية بأنواعها؛ إذ يمنح الإقطاع مقدار ما يصله من نقد ومحصول، وكانت الوحدة النقدية هي الدينار الجيشي، وكان هذا الدينار للأجناد والأتراك والتركمان في عهد صلاح الدين، ويساوي دينارا ذهبيا كاملا، وذكر صاحب كتاب قوانين الدواوين أنه اشتمل ربع الدينار الذهبي الرسمي، أسعد بن مماتي، قوانين الدواوين وتحقيق عزيز سوريال عطية، مصر، ١٩٤٣، ص٣٦٩، وكذلك، ص٣٦٩، حاشية (٩).
(٢١٥) أبو شامة، الروضتين، ٢٣٧/١.
(٢١٦) أبو شامة، الروضتين، ٢٣٧/١.
(٢١٧) أبو الفدا، المختصر، ٤١/٦، طبعة بيروت.

[٢١٨] المقريزي، السلوك، ٤٤٦/١.
[٢١٩] الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ٨٧/٨.
[٢٢٠] ابن جبير، الرحلة، ص٢٧٣-٢٧٥.
[٢٢١] ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٦-١٤١، ابن الأثير، الكامل، ٧٦/٩-٨٧.
[٢٢٢] هو الناصر محمد بن السلطان المنصور قلاوون، وحكم بعد أخيه صلاح الدين، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٥٥/١٣.
[٢٢٣] القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٨/١٣-٣٠.
[٢٢٤] القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٨/١٣-٣٠.

المصادر والمراجع

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين ابي العباس، عيون الأنباء في طبقات الاطباء تحقيق: نزار رضا، بيروت، ب،ت.
ابن القلانسي، ابو يعلى حمزة، ذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨م.
ابن الوردي، زين الدين عمر، تاريخ ابن الوردي، المطبعة الوهابية، ١٨٧٧م.
ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تحقيق: سامي الدهان، دمشق، ١٩٥٦م.
ابن شداد، محمد بن علي، تاريخ الملك الظاهر، اعتناء أحمد خطيط، بيروت، ١٩٨٣م.
ابن كثير، عماد ابو الغدا اسماعيل، البداية والنهاية، دار الاحياء العربي، بيروت، ب،ت.
ابن مماتي، أسعد، قوانين الدواوين وتحقيق عزيز سوريال عطية، مصر، ١٩٤٣م.
ابن منقذ، الاعتبار، نشر فيليب حتي، ١٩٣٠م.
ابن واصل، محمج بن سالم، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، مصر، ١٩٥٣م.
أبو شامة، عبد الرحمن ابن إسماعيل ، عيون الروضتين، تحقيق أحمد البسيوني، دمشق، ١٩٩١م.
أحمد أحمد بدوي، الحياة العقلية عصر الحروب الصليبية، القاهرة ب، ت.
أحمد الأريلي، مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها، تحقيق محمد أحمد الدهان، دمشق، ١٩٤٧م.
أحمد تيمور، خيال الظل ولعب التماثيل المصورة عند العرب، ط١، القاهرة، ١٩٥٧م.
أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، بيروت، ١٩٨١م.
أرنولد، الفن الإسلامي وأثره على أوروبا، تراث الإسلام، ط٢، بيروت، ١٩٧٢م.
آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ترجمة عبد الهادي عبلة، دمشق ١٩٨٥م.
الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق، شكري فيصل، دمشق، ١٩٥٥م.
جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، ب، ت.
جمال الدين الشيال، الجاسوسية في حروب الصليبيين، مجلة المقتطف، سنة ١٩٤١.
جميل بيهم، المرأة في حضارة العرب، ط١، دار النشر للجامعين، ١٩٦٢،
حبيب زيات، احتيال الملوك الصليبيين في رشوة النساء الفرنجيات، مجلة المشرق، مجلد ٣٦، لسنة ١٩٣٨م.
حسن إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر، القاهرة، ب، ت.
حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق، القاهرة، ١٩٥٧م.
حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٦م.
حسن الباشا، مدخل إلى الآثار الإسلامية، مصر، ب، ت.
حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، الموصل، ١٩٧٧م.
الحموي، معجم الأدباء، بيروت، ب، ت.
خاشع المعاضيدي، الحياة السياسية في بلاد الشام، بغداد، ١٩٧٦م.
دريد عبد القادر نوري، سياسة صلاح الدين الأيوبي في مصر والشام، بغداد، ١٩٧٦م.
الدّواداري، عبد الله بن أبيك ، كنز الدّرر وجامع الغُرر، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٦٢م.

ريشارد انفهاوزن فن التصوير عند العرب، ترجمة عيسى سلمان، سليم التكريتي، بغداد، ١٩٧٤م.
ريموند، الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد عيسى، ط٢، مصر، ١٩٥٨،
زكي محمد حسن، فنون الإسلام، القاهرة، ١٩٤٨،
السبكي، طبقات الشافعية، تحقيق، محمود محمد، القاهرة، ب، ت،.
سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في بلاد الشام مصر، بيروت، ١٩٧٢،
السيوطي، جلال الدين، حسن المحاضرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، ب، ت.
شهاب الدين أحمد التويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، ١٩٧٦م.
صالح مهدي عباس، النشاط الثقافي والحضاري، لأعيان أهل تكريت من بلاد الشام، موسوعة مدينة تكريت، بغداد، ١٩٩٧م.
عبد الرحمن بن الشيرازي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، بيروت، ١٩٦٩.
عبد الرحمن زكي، السيف في العالم الإسلامي، القاهرة، ١٩٥٧،
عبد المطلب حمزة، الحياة الفكرية في مصر في العصر الأيوبي والمملوكي، القاهرة، ١٩٦٨م.
عبد المنعم ماجد، الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي، مصر، ١٩٥٨،
عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة العربية في العصور الوسطى، ط٣، القاهرة، ١٩٧٣م.
فؤاد العادل، المجتمع الشامي، مكان وسنة الطبع بلا.
كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار ووليد يعقوب، القاهرة، ١٩٧٧م.
محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، تاريخ ابن الفرات، تحقيق حسن محمد الشمّاع، البصرة، ١٩٦٩م.
محمد كرد علي، خطط الشام، دمشق، ١٩٧٠م.

المصادر والمراجع

المقريزي، أبو العباس، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بغداد، ١٩٧٠م.
منير كيّال، فنون وصناعات دمشقية، دمشق، ١٩٦٤م.
موسى بن محمد اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ط١، الهند، ١٩٥٤م.
نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية، بغداد، ١٩٧٧م.
النعيمي، عبد القادر بن محمد ، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، دمشق، ١٩٥١م.
نقولا زيادة، دمشق وعهد المماليك، بيروت، ١٩٦٦م.

Sources and references

Ibn Abi Yogatah, Muwafaq al-Din Abi al-Abbas, the news of the doctors' classes. Investigation: Nizar Reza, Beirut, b.
Ibn al-Qulansi, Abu Ya`li Hamza, History of Damascus, Beirut, 1908.
Ibn al-Wardi, Zayn al-Din Umar, The History of Ibn al-Wardi, The Wahhabi Printing Press, 1877.
Ibn Shaddad, serious links in the mention of the princes of the Levant and the island, investigation: Sami Dahan, Damascus, 1956.
Ibn Shaddad, Muhammad bin Ali, History of the King of the Phenomenon, Ahmed Khatayt, Beirut, 1983.
Ibn Katheer, Imad Abu Al-Ghada Isma'il, Beginning and End, Dar Al-Hayya Al-Arabi, Beirut, b.
Ibn Mamati, As'ad, The Laws of Dawaween and the Achievement of Aziz Suriel Attieh, Egypt, 1943 AD.

Son of Savior, Mind, published by Philip Hitti, 1930 AD.
Ibn Wasel, Mahjim bin Salem, Al-Karub in the news of Betty Ayoub, investigation: Gamal al-Din Shial, Egypt, 1953 m.
Abu Shama, Abderrahmane Ibn Ismail, Ayoon Al-Rawdatain, Investigation of Ahmad Al-Basiouni, Damascus, 1991.
Ahmed Ahmed Badawi, Mental Life The Age of the Crusades, Cairo, p.
Ahmed Al-Aryli, Damascus Schools and their connection to mosques and baths, investigation Mohammed Ahmed Dahan, Damascus, 1947.
Ahmed Taymour, shadow fiction and play figurines with the Arabs, 1, Cairo, 1957.
Ahmed Issa, History of the Bimarastat in Islam, Beirut, 1981.
Arnold, Islamic Art and its Impact on Europe, The Heritage of Islam, II, Beirut, 1972.
Ashtour, Economic and Social History, translated by Abdel Hadi Abla, Damascus 1985.
Al-Asfahani, Khuraida Al-Qasr and Al-Asr Newspaper, Investigation, Shukri Faisal, Damascus, 1955.
Gergi Zidane, History of Islamic Civilization, Dar Al-Hilal, B, T.
Jamal al-Din al-Shayyal, a spy in the Crusader wars, Al-Muqtataf magazine, 1941.
Jamil Bayhoum, Women in Arab Civilization, I 1, Publishers' House, 1962,
Habib Zayat, Fraud of the Crusader Kings in Bribery of French Women, Al Mashreq Magazine, Volume 36, 1938.
Hassan Ibrahim Hassan, Fatimids in Egypt, Cairo, B, T.
Hassan al-Basha, Islamic titles in history and documents, Cairo, 1957.
Hassan Al-Basha, Islamic Arts and Functions on Islamic Antiquities, Cairo, 1966.
Hassan al-Basha, Introduction to the Islamic Antiquities, Egypt, B, T.
Hikmet Najib Abdel Rahman, Studies in the History of Science in the Arabs, Mosul, 1977.
Al-Hamwi, Literary Dictionary, Beirut, b.
Khashah al-Maaidi, Political Life in the Levant, Baghdad, 1976.
Duraid Abdelkader Nuri, Politics of Salah al-Din in Egypt and Syria, Baghdad, 1976.
Dawaadari, Abdullah bin Abik, treasure Alder and mosque Gharar, the investigation of Said Abdel Fattah Ashour, Cairo, 1962 m.
Richard Enfhausen The Art of Photography in the Arabs, translated by Isa Salman, Salim Al-Tikriti, Baghdad, 1974.
Raymond, Islamic Arts, translated by Ahmed Mohamed Issa, I 2, Egypt, 1958,
Zaki Mohammed Hassan, The Arts of Islam, Cairo, 1948,
Al-Sabki, Tafsat Al-Shaafa'i, Taha, Mahmoud Mohamed, Cairo, B, T,
Said Abdel Fattah Ashour, Ayyubids and Mamluks in the Levant Egypt, Beirut, 1972,
Suyuti, Jalaluddin, Hassan lecture in the kings of Egypt and Cairo, Egypt, b.
Shahabuddin Ahmed Al-Nuwairy, End of the Lords in the Arts of Literature, Cairo, 1976.

Saleh Mahdi Abbas, the cultural and civilizational activity, the eyes of the people of Tikrit from the Levant, Encyclopedia of the city of Tikrit, Baghdad, 1997.
Abdul Rahman bin Shirazi, end of rank in the request of Hesba, investigation of Mr. Al-Baz Al-Arini, Beirut, 1969.
Abdul Rahman Zaki, Sword in the Islamic world, Cairo, 1957,
Abdulmutallab Hamza, Intellectual Life in Egypt in the Ayyubid and Mamluk Ages, Cairo, 1968.
Abdel Moneim Majid, Nasser Salah Eddin Youssef El Ayoubi, Egypt, 1958,
Abdel Moneim Majid, History of Arab Civilization in the Middle Ages, I 3, Cairo, 1973.
Fouad Adel, Shami Society, Place and Year of Printing None.
Karl Brueckelmann, The History of Arabic Literature, translated by Abdel Halim El-Naggar and Walid Yacoub, Cairo, 1977.
Mohammed bin Abdul Rahim ibn al-Furat, history of Ibn al-Furat, the investigation of Hassan Mohammed al-Shamma, Basra, 1969.
Mohammed Kurd Ali, Plans of Damascus, Damascus, 1970.
Sources and references
Al-Maqrizi, Abu al-Abbas, preaching and consideration of plans and effects, Baghdad, 1970.
Mounir Kayal, Damascene Arts and Industries, Damascus, 1964.
Musa bin Muhammad al-Yunini, tail of the mirror of time, I 1, India, 1954 AD.
Nafie Tawfiq al-Aboud, Al-Khwarizmia State, Baghdad, 1977.
Naimi, Abdul Qadir bin Mohammed, student in the history of schools, the investigation of Jaafar al-Hassani, Damascus, 1951.
Nicola Ziadeh, Damascus and the Mamluk era, Beirut, 1966